المشروع النحوي والبياني عند فاضل صالح السامرائي

ورقة تركيبية إغنائية مكثفة لمجمل مؤلفاته: من النحو الدلالي والصرف إلى المقام والتفسير البياني ووحدة النص القرآني

Corpus: المؤلفات اللغوية والنحوية والقرآنية والعقدية المتداولة حتى 2026

صياغة عربية RTL بخط Amiri - نسخة كثيفة معدّة للقراءة والرجوع

ملاحظة منهجية: المقصود بـ«عدم ضياع العلوم» هنا حفظ البنية العلمية والمفاتيح والمفاهيم والطرائق والفروق الكبرى التي تتكرر عبر المؤلفات، لا نسخ أمثلة الكتب أو استبدال النصوص الأصلية. كل تلخيص محدود الصفحات يترك بالضرورة تفاصيل الشواهد، لذلك صممت الورقة لتمنح القارئ آلة استرجاع وفهم تسمح له بالعودة إلى الأصل بوعي أعلى.

سبتمبر 2026

الملخص

تسعى هذه الورقة إلى ضغط المشروع العلمي لفاضل صالح السامرائي في بنية معرفية واحدة، بحيث لا تُقرأ مؤلفاته بوصفها رفوفًا منفصلة في النحو والصرف والبيان والتفسير، بل بوصفها طبقات متراكبة لنظرية عملية في إنتاج المعنى العربي وفهم الاختيار القرآني. corpus الورقة هو واحد وعشرون عنوانا تدرجها دار ابن كثير ضمن مؤلفات السامرائي في طبعاتها المتداولة، مع إلحاق أعمال أقدم أو أقل تداولا تذكرها الفهارس البيبليوغرافية والدراسات الجامعية، مثل دراسة المتشابه اللفظي وأثر الخلافات النحوية. لا تدّعي الورقة أنها بديل عن آلاف الصفحات الأصلية، ولا أنها تحتفظ بكل شاهد وآية واعتراض، وهو أمر لا يمكن إنجازه في ست وخمسين صفحة من غير تحويل البحث إلى اختزال مخل؛ وإنما صممت لحفظ البنية العلمية: الأسئلة المركزية، المفاهيم، العلاقات، ضوابط التحليل، أنواع الفروق، وطريقة الانتقال من الشكل الصرفي والتركيب النحوي إلى السياق والمقام والتناسب. والنتيجة الرئيسة أن مشروع السامرائي يمكن تمثيله بوصفه انتقالاً من «نحو العلامة» إلى «نحو الاختيار»: ليست الوظيفة العليا للقواعد أن تقول لماذا رفع هذا ونصب ذاك فحسب، بل أن تفسر لماذا اختير هذا البناء دون بديله الممكن، وكيف يختلف المعنى بتغير التعريف والتنكير، والذكر والحذف، والتقديم والتأخير، والصيغة، والفاصلة، والنغمة، والربط النصي، والسياق الكلي للسورة. ومن هنا تتصل كتبه النحوية مباشرة بكتبه القرآنية؛ فـ«معاني النحو» يبني معجم الفروق التركيبية، و«معاني الأبنية» يضيف الدلالة الصرفية، و«الجملة العربية» تضبط نظام التأليف، ثم يأتي «التعبير القرآني» و«بلاغة الكلمة» و«مراعاة المقام» و«على طريق التفسير البياني» لتحويل هذه الأدوات إلى قراءة تفسيرية دقيقة للنص.

المنهج وحدود التغطية

منهجيًا، جُمعت العناوين من قائمة دار ابن كثير الحالية، التي تعرض واحدًا وعشرين كتابًا للسامرائي، ثم قورنت بفهارس بيبليوغرافية ودراسات أكاديمية تظهر بعض الأعمال المبكرة أو العناوين التي تغيرت طبعاتها. واعتمدت الورقة في توصيف نطاق الكتب على فهارس النصوص الرقمية، وصفحات الناشرين، وعروض أكاديمية محكمة لمنهج «معاني النحو» و«على طريق التفسير البياني» و«مراعاة المقام». أما التحليل التركيبي في هذه الورقة فهو استنتاج من تكرار الآليات نفسها عبر corpus المؤلف، ولذلك سيفصل قدر الإمكان بين ما هو وصف مباشر لموضوعات كتبه، وبين ما هو نموذج جامع تقترحه هذه الورقة لتسهيل استيعاب مشروعه. كما روعي عدم تحويل «الفروق البيانية» إلى يقين غير قابل للنقد؛ فالتحليل البياني اجتهاد تفسيري يتفاوت في القوة بحسب اكتمال المقارنة، واستيعاب السياق، وثبوت الفارق في الاستعمال العربي، وقد أشارت دراسات نقدية إلى أن بعض تحقيقاته النحوية يمكن مناقشتها أو لا تكون جديدة على إطلاقها، وهو تنبيه مهم يحفظ المشروع في مجاله العلمي بدل أن يحوله إلى سلسلة من الدعاوى غير القابلة للفحص.

الكلمات المفتاحية: فاضل صالح السامرائي؛ معاني النحو؛ التفسير البياني؛ التعبير القرآني؛ مراعاة المقام؛ بلاغة الكلمة؛ الدلالة النحوية؛ الدلالة الصرفية؛ المتشابه اللفظي؛ نظم القرآن؛ علم المناسبات.

خريطة **corpus** المعتمد

الوظيفة في المشروع	المجال	العنوان/المجموعة
المرجع المركزي في تحويل أبواب النحو إلى فروق معنوية.	نحو ودلالة	معاني النحو 1-4
معمار الإسناد، الاحتمال، الحذف، وأمن اللبس.	نحو/دلالة نصية	الجملة العربية (كتابان)
معنى الصيغة والوزن قبل دخول الكلمة في الجملة.	صرف دلالي	معاني الأبنية
التحقيق في النقول وبناء العمق التراثي.	تاريخ/نقد نحوي	تحقيقات + دراسات الأعلام
منهج الاختيار والبدائل والسياق.	بيان قرآني	التعبير + بلاغة الكلمة + المقام
تدريب مقارن وموضوعي على آيات ومقاطع.	تطبيق بياني	لمسات + أسئلة + أسرار + قبسات + شذرات
اختبار المنهج على سور كاملة ووحدات ممتدة.	تفسير بياني	على طريق التفسير + إضاءات إبراهيم
رفع التحليل إلى بنية السورة وعلاقاتها.	مناسبات/نصية	التناسب بين السور
الخلفية الإيمانية والغاية العقدية.	عقيدة/حجاج	نداء الروح + نبوة محمد

1. الخيط الناظم للمشروع: اللغة شبكة اختيارات لا قائمة قواعد

إذا نُظر إلى مؤلفات السامرائي متفرقة أمكن أن يبدو بعضها كتب نحو مدرسية، وبعضها كتب بلاغة قرآنية، وبعضها دراسات في أعلام النحو، وبعضها كتب وعظ وإيمان؛ لكن إعادة ترتيبها بحسب الوظيفة تكشف مشروعًا متماسكًا. تبدأ المسألة عنده من أن اللغة لا تنتج المعنى بالمفردات منفردة، بل بالاختيار من بدائل ممكنة داخل نظام العربية. المتكلم يستطيع أن يعرف أو ينكر، يقدم أو يؤخر، يذكر أو يحذف، يستعمل الاسم أو الفعل، الماضي أو المضارع، صيغة المبالغة أو اسم الفاعل، البناء للمعلوم أو للمجهول، أداة شرط دون أخرى، حرف جر دون آخر، جملة اسمية أو فعلية، أو يختار ترتيبا آخر لعناصر الكلام. وجود هذه البدائل يعني أن السؤال النحوي الكامل ليس «هل هذا صحيح؟» فقط، بل «ماذا يضيف هذا الاختيار؟ وما الذي كان سيختلف لو وقع الاختيار على البديل الآخر؟». هذه النقلة هي التي تجعل «معاني النحو» مختلفًا عن كتاب يكرر أبواب النحو التقليدية، وتجعل كتب البيان القرآني امتدادًا طبيعيًا لا قفزة خارجة عن تخصص المؤلف.

يمكن تمثيل هذا الخيط بست طبقات متراكبة. الطبقة الأولى هي البنية الصرفية، حيث يدرس معنى الوزن والصيغة كما في «معاني الأبنية». والثانية هي الوظيفة النحوية، أي العلاقات التي ينشئها الإسناد والتعدية والحذف والتقديم والرتبة كما في «معاني النحو» و«الجملة العربية». والثالثة هي الدلالة الاحتمالية، لأن التركيب قد يفتح أكثر من وجه، وقد يقصد المتكلم أحيانًا إلى توسيع المعنى بدل إغلاقه. والرابعة هي المقام، أي ما يقتضيه السياق وموضوع الخطاب وحالة المخاطب وموقع الجملة مما قبلها وبعدها. والخامسة هي المقارنة النصية: إذا تشابه موضعان واختلفت كلمة أو حركة أو ترتيب، صار الاختلاف نفسه مادة للتحليل. والسادسة هي الوحدة الكبرى للنص، حيث لا تكفي الآية منفردة، بل ينظر في بناء السورة، ومفتتحها وخاتمتها، وصلتها بما قبلها وبعدها. وحين تضم هذه الطبقات يتشكل ما يمكن تسميته «نموذج الاختيار المقيد بالسياق»: كل صيغة تؤخذ من فضاء بدائل، ثم يبحث لماذا كانت هي الأنسب للمعنى والمقام والبنية النصية.

هذه الرؤية تجعل المشروع قريبًا من بعض اهتمامات اللسانيات الحديثة من غير أن يكون نسخة منها. فهو يتقاطع مع semantics في ربط الشكل بالمعنى، ومع pragmatics في مراعاة المقام، ومع discourse analysis في الوحدة النصية، ومع morphology في دلالة الأبنية، ومع stylistics في المقارنة بين الاختيارات التعبيرية. غير أن مادته وأدواته في أصلها عربية تراثية: سيبويه، كتب معاني القرآن، عبد القاهر الجرجاني، الزمخشري، أبو حيان، الرازي، كتب اللغة والمعاجم، والاستعمال القرآني نفسه. ولذلك فالقيمة العلمية للمشروع ليست في ادعاء قطيعة مع القديم، بل في إعادة تشغيل تراث النحو والبلاغة بوصفه جهازًا لتحليل الفروق الدقيقة، مع صياغة معاصرة تكثر من الموازنات والأمثلة وتعيد المعنى إلى مركز الدرس النحوي.

2. معاني النحو: القلب النظري والأثقل في المشروع

«معاني النحو» في أربعة أجزاء، وهو أوسع أعمال السامرائي اللغوية وأشدها تأسيسًا لمشروعه. فهرسه يكاد يمر على المنظومة النحوية كلها: الجملة العربية، ظاهرة الإعراب، النكرة والمعرفة، المبتدأ والخبر، كان وأخواتها، أفعال المقاربة، إن وأخواتها، لا النافية للجنس، ظن وأخواتها، الفاعل ونائب الفاعل، المفاعيل، الاستثناء والحال والتمييز، حروف الجر والإضافة، المشتقات، النعت والبدل والعطف، العدد، الممنوع من الصرف، الفعل، الشرط، التوكيد،

القسم، النفي، الاستفهام، التعجب، المدح والذم، التفضيل، النداء وما يتصل به. ولكن تعداد الأبواب لا يكشف فرادة الكتاب؛ إذ إن وظيفته الحقيقية هي إعادة قراءة هذه الأبواب من زاوية السؤال الدلالي. فالنكرة ليست رتبة شكلية في مقابل المعرفة، بل أداة يمكن أن تفيد الوحدة أو النوع أو التعظيم أو التقليل أو عدم التعيين بحسب السياق. والتقديم ليس مجرد خروج على ترتيب مألوف، بل آلية قد تصنع الاختصاص أو الاهتمام أو التوكيد أو التناسب الإيقاعي. والحذف ليس نقصا، بل قد يطلق الدلالة ويوسعها أو يحشد احتمالات كان الذكر سيغلقها.

من أهم ما يرسخه الكتاب أن العلامة الإعرابية ليست زينة لاحقة للمعنى؛ بل هي جزء من هندسة العلاقة بين العناصر. الإعراب يسمح للعربية بمرونة رتبية كبيرة، ولذلك يمكن تغيير مواقع العناصر مع بقاء الوظائف مفهومة، ثم يصبح اختلاف الرتبة نفسه حاملا لدلالة إضافية. وهنا يظهر الفرق بين «المعنى الوظيفي» و«المعنى التداولي»: الفاعل يبقى فاعلا من جهة الوظيفة، لكن تقديمه أو تأخيره أو إضماره أو التصريح به يغير مركز الانتباه، وقد يغير مقدار التوكيد أو نطاق النفي أو علاقة الجملة بسياقها. ولأن السامرائي يصر على ربط القاعدة بالاستعمال، فإن القرآن والشعر وكلام العرب ليست شواهد تثبت قاعدة منتهية مُحسبة؛ بل corpus يستقرأ لمعرفة الفروق التي لا تظهر في صياغة القاعدة المختصرة.

في باب النواسخ، مثلا، لا يكتفي التحليل بأن «كان» ترفع الاسم وتنصب الخبر، بل تتسع المسألة إلى الزمن والدوام والانقطاع، وإلى ما تفعله أخواتها من معاني التحول والاستمرار والنفي والاستثناء الزمني. وفي أبواب المفاعيل تتضح فلسفة الكتاب أكثر: المفعول المطلق لا يفهم بمقولته الإعرابية وحدها، بل بوظيفته في توكيد الحدث أو بيان نوعه أو عدده، والمفعول لأجله يدخل في بنية التعليل؛ والظرف يفتح تمثيل الحدث في الزمان والمكان؛ والحال تبنى صورة مصاحبة للحدث؛ والتمييز يرفع إبهاما مخصوصا. هكذا يتحول النحو من «صناديق إعراب» إلى شبكة وظائف معنوية. وهذه النقلة مهمة لمن يقرأ أصول الفقه والتفسير أيضا، لأن دلالات العموم والتخصيص، والنفي، والشرط، والاستثناء، والتقديم، والضمير، والحذف ليست قضايا لغوية جانبية؛ بل هي مكونات في بناء الحكم والفهم.

وفي المشتقات والصيغ يلتقي «معاني النحو» مع «معاني الأبنية»: اسم الفاعل ليس مرادفًا آليًا للفعل المضارع، وصيغة المبالغة ليست مجرد «أكثر شدة» بلا قيود، والصفة المشبهة لها مجال دلالي يتعلق بالثبوت، بينما للفعل حركة زمنية وحدوث. هذه الفروق تسمح بفهم لماذا يختار النص اسما في موضع وفعلا في موضع، ولماذا يعبر عن معنى بصفة ثابتة أو بحدث متجدد. ومن هنا لا ينبغي قراءة الكتاب على أنه مرجع في كل باب منفصل، بل خزان للمقارنات: المعرفة تنشأ حين تضع تركيبين متقاربين جنبا إلى جنب، وتحصر نقاط التغير، ثم تبحث عن تغير المعنى. وهذه «الطريقة التفريقية» هي الخوارزمية التي ستنتقل لاحقا إلى القرآن بصورة أكثر كثافة.

الدراسات الأكاديمية التي تناولت «معاني النحو» لفتت إلى هذا الجانب تحديدًا، فقد وُصف بأنه إعادة وصل للنحو بالدلالة وتقديم «فقه النحو» بدل الاقتصار على صناعته، كما دُرست مصادره التفسيرية والنحوية بوصف المؤلف ناقلا وناقدا ومستنبطا. وفي المقابل، تظهر بحوث في «التحقيق النحوي» أن بعض المسائل التي يرجح فيها السامرائي رأيا يمكن مناقشته أو قد لا يكون جديدا تماما. وهذه الملاحظة لا تهدم القيمة المركزية للكتاب، بل تحددها بدقة: قوته الكبرى في هندسة السؤال الدلالي والمقارنة الكثيفة واستعادة وظيفة المعنى في الدرس النحوي، لا في أن كل ترجيح جزئي فيه حكم نهائي لا يقبل الرد.

3. الجملة العربية: من بنية الإسناد إلى هندسة الاحتمال

كتابا «الجملة العربية: تأليفها وأقسامها» و«الجملة العربية والمعنى» يمثلان المستوى الأوسط بين الموسوعة النحوية والتحليل البياني. الأول يضبط مكونات الجملة وكيفية تأليفها: المسند والمسند إليه بوصفهما عمدتي الإسناد، ثم المفردة والصيغة الصرفية والتأليف الجزئي والتأليف التام والنغمة، وبحث الذكر والحذف وأدلة المحذوف، وأقسام الجمل الاسمية والفعلية والظرفية والخبرية والإنشائية، ومسألة المحل الإعرابي وما يرتبط ببنية القول. هذه المادة مهمة لأنها تنقل التحليل من كلمة مفردة إلى «وحدة إسنادية»؛ فالمعنى لا يساوي حاصل جمع معاني الكلمات، بل ينشأ من العلاقات التي تربط بها. الجملة لذلك آلة تنظيم: تحدد من يسند إليه، وما المسند، وما الذي يجعل أصلا وما الذي يجعل قيدا، وما الذي يصرح به وما الذي يترك ليستدله السامع.

أما «الجملة العربية والمعنى» فيتقدم خطوة أخرى نحو فلسفة الدلالة، فيميز بين الدلالات القطعية والاحتمالية، وبين الظاهر وما يستفاد من فحوى الكلام، ويجعل «أمن اللبس» مبدأ يفسر كثيرا من اختيارات العربية. غير أن العربية لا تتجنب الاحتمال دائما؛ فقد يكون تعدد الاحتمال مقصودا لأنه يوسع المعنى. هنا يتضح الفرق بين الإبهام المفسد والاتساع المنتج: الأول يحجب المقصود، والثاني يتيح للنص أن يحمل طبقات متوافقة من الدلالة. ومن الأدوات التي تخلق هذا الاتساع الحذف، والتضمين، والاشتراك، وتعدد الوجوه الإعرابية حين يسمح السياق بها. وتظهر أهمية هذا المبدأ في القرآن؛ إذ لا يصح أن نسارع إلى قتل الاحتمال كلما تعددت الأوجه، بل نحتاج إلى اختبار ما إذا كانت الأوجه متعارضة أم يمكن أن يجمعها النص في اقتصاد تعبيري واحد.

بالجمع بين الكتابين نحصل على تصور دقيق: للجملة بنية سطحية يمكن وصفها نحويًا، ولكنها فوق ذلك «فضاء قرارات». قرار في الرتبة يغير البؤرة، قرار في الحذف يغير اتساع الدلالة، قرار في نوع الجملة يغير الإحساس بالثبوت أو التجدد، قرار في الضمير والاسم الظاهر يغير درجة الحضور والربط، قرار في العطف يحدد العلاقة المنطقية أو الزمنية أو التصويرية بين المكونات. ولهذا فإن الجملة عند السامرائي ليست قالبا يملأ بكلمات، بل جهازا يوزع المعلومات والانتباه والافتراضات. هذه الفكرة ستظهر لاحقًا في «مراعاة المقام»، حيث تصبح البنية الجملية استجابة دقيقة لحالة السياق لا مجرد اختيار بلاغي تجميلي.

4. معاني الأبنية: الصرف بوصفه طبقة دلالية لا مخزن أوزان

«معاني الأبنية في العربية» يملأ فجوة لا يستطيع النحو وحده ملأها، إذ يبحث في دلالة الصيغة الصرفية نفسها. الفكرة المحورية أن الانتقال من جذر إلى بناء ليس عملية شكلية، فالأوزان تحمل اتجاهات دلالية تتضح بالاستقراء والموازنة بين الاستعمالات، مع الحذر من تحويلها إلى قوانين جامدة لا تستثني. أهمية هذا الكتاب للمشروع القرآني كبيرة لأن كثيرا من فروق التعبير تقع داخل الكلمة قبل أن تقع في ترتيب الجملة: مصدر على وزن دون آخر، صفة مشبهة بدل اسم فاعل، صيغة مبالغة بدل وصف مجرد، جمع على بناء دون آخر، أو فعل مزيد يحمل علاقة تختلف عن المجرد. وإذا كان «معاني النحو» يشرح كيف تنتج العلاقات التركيبية المعنى، فإن «معاني الأبنية» يشرح كيف تحمل هيئة الكلمة جزءًا من ذلك المعنى قبل أن تدخل في الجملة.

طريقة السامرائي هنا تقوم على الموازنة بين النصوص والاستعمال القرآني ومقررات علماء العربية، وهذا مهم منهجيا؛ لأن معنى الوزن لا ينبغي أن يستنتج من مثال واحد. يمكن النظر إلى البنية الصرفية باعتبارها «ضغطا دلاليا»: تغير صغير في الصيغة يضيف معنى في الكثرة أو الثبوت أو المشاركة أو المطاوعة أو الطلب أو التعدية أو التكلف أو غيرها بحسب الباب والاستعمال. ثم يدخل هذا الضغط في تركيب أكبر فيتفاعل مع السياق. ومن هنا تولد قاعدة عامة في مشروعه: لا يجوز تفسير اختيار قرآني من مستوى واحد، فقد يكون سر الاختيار صرفيًا، ثم يتأكد نحويا، ثم يجد مبرره النهائي في المقام. لذلك فإن دراسة كلمة منفردة مع تجاهل بنيتها، أو دراسة تركيب مع تجاهل الصيغة، قد تفقد طبقة من البيان.

5. التحقيق والتاريخ النحوي: كيف بُنيت آلة السامرائي قبل توجيهها إلى القرآن

يمثل «تحقيقات نحوية» الوجه النقدي الصريح للمشروع. الكتاب يتناول مسائل شاع في العصر الحديث الاعتراض فيها على النحاة أو نسبة أقوال إليهم، مثل حقيقة تاء التأنيث الساكنة، وطبيعة حروف المضارعة، ومسألة تقدم الفاعل، وست بعض الآراء إلى الكوفيين. المغزى الأوسع من هذه المسائل أن السامرائي لا يتعامل مع «النحو الموروث» كلمة واحدة مقدسة ولا كتراث يجب تجاوزه، بل مادة تحتاج إلى تحقيق في النقول، واستقراء للأقوال، وتمييز بين اصطلاح النحاة والواقع الدلالي. هذا الحس التحقيقي ضروري في مشروعه البياني؛ لأن من يريد أن يعلل فرقا قرآنيا بقاعدة نحوية لا يستطيع الاعتماد على قاعدة مبتورة أو نسبة تاريخية غير دقيقة.

أما «ابن جني النحوي»، و«أبو البركات ابن الأنباري ودراساته النحوية»، و«الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري»، فهي ليست هوامش سيرية على مشروع البيان، بل مختبر تكوينه العلمي. ابن جني يفتح الباب على فقه الخصائص والاشتقاق وعلاقة الصوت بالمعنى ومجال القياس؛ وابن الأنباري يمثل طبقة في تاريخ الصناعة النحوية والخلاف؛ والزمخشري يجمع النحو واللغة بالتفسير والبلاغة في صورة شديدة الصلة بما سيصبح محور السامرائي نفسه: دراسة الزمخشري خصوصا تفسر كثيرا من أدوات السامرائي اللاحقة: ملاحظة الفروق في التراكيب، العناية باللفظة في سياقها، استثمار الاحتمال

الإعرابي، وعدم فصل النحو عن التفسير. ولذلك يمكن القول إن هذه الدراسات الثلاث تكشف «سلسلة النسب العلمي» للمشروع: تراث نحوي عميق، يلتقي مع نظرية النظم والبيان، ثم يعاد تركيبه في خطاب حديث كثير المقارنة.

وتذكر فهارس أخرى عملاً بعنوان «أثر الخلافات النحوية» في كتيب مستقل، كما تذكر «دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل». حتى لو اختلف وضع بعض هذه الأعمال بين كتاب مستقل وبحث أو طبعة متداولة، فإن دلالتها على بنية المشروع واضحة: الخلاف النحوي ليس تاريخ أفكار محضاً، والمتشابه اللفظي ليس باباً في الحفظ؛ كلاهما مورد لاختبار كيف يؤدي تغير التحليل أو تغير اللفظ إلى تغير الدلالة. وهذا بالضبط الجسر بين التاريخ النحوي والتفسير البياني.

6. التعبير القرآني: الكتاب الذي يحول علوم اللغة إلى منهج مقارنة

«التعبير القرآني» من الكتب المركزية لأنه ينقل الأدوات السابقة إلى corpus القرآن على نحو مباشر، ويقوم على موازنات بين آيات متشابهة في الموضوع مختلفة في العبارة، وعلى تحليل الاختيار اللغوي والبلاغي والمعنوي. القيمة هنا ليست في جمع «لطائف» منفصلة، بل في تأسيس عادة بحثية: البحث عن البديل الممكن، ثم السؤال لماذا لم يقع. إذا ورد فعل في موضع واسم في موضع، أو ذكر مفعول هنا وحذف هناك، أو تقدمت كلمة في سورة وتأخرت في نظيرها، لا تعامل الاختلاف كتنويع إسلوبي بلا وظيفة، ولا تفترض الوظيفة قبل البحث؛ بل تجمع السياقين، وتحدد ما تغير في الموضوع والنبرة والزمن والمخاطبين والآيات المحيطة، ثم تختبر أي تفسير يفسر الاختلاف بأقل قدر من التعسف.

هذا الكتاب يرسخ مفهوم «المناسبة الموضعية»: اللفظة لا تكون بليغة في ذاتها منفصلة عن موضعها، بل بلاغتها في كونها أنسب من البدائل للمقام الذي وردت فيه. ولهذا فإن تعبيرا قد يكون فصيحا في العربية لكنه لو وضع مكان التعبير القرآني لانكسر شيء من الدقة أو الإيقاع أو التناسب أو امتداد المعنى. هذه الرؤية قريبة من قلب نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، حيث الفضل للعلاقات لا للألفاظ المفردة في الفراغ. إلا أن السامرائي يكثر من تجزئة الفروق وتطبيقها على مواضع كثيرة، فتتكون لدى القارئ «حساسية مقارنة»؛ لا يعود يرى الآيتين المتشابهتين نسختين من المعنى نفسه، بل نظامين دقيقين قد يتقاطعان في الأصل ويختلفان في زاوية العرض.

ومن الناحية المنهجية، «التعبير القرآني» هو أفضل نقطة لفهم بقية كتبه القرآنية؛ فـ«بلاغة الكلمة» تضيق العدسة إلى المفردة، و«مراعاة المقام» يركز على علاقة الاختيار بالسياق، و«لمسات بيانية» يقدم تطبيقات على نصوص وسور، و«أسئلة بيانية» يحول الفروق إلى صيغة سؤال وجواب، و«على طريق التفسير البياني» يمد التحليل عبر سور كاملة، و«التناسب بين السور» يرفع مستوى الرؤية إلى البنية الكبرى للمصحف. بهذا المعنى، لا تمثل هذه الكتب تكرارا تجاريا لمادة واحدة، بل تكبيرا وتصغيرا للعدسة حول الظاهرة نفسها.

7. بلاغة الكلمة ومراعاة المقام: الميكروسكوب الدلالي والسياق الحاكم

في «بلاغة الكلمة في التعبير القرآني» تُردّ البلاغة إلى دقة الاختيار المعجمي والصرفي. الكلمة ليست حاملة لمعنى معجمي فحسب؛ بنيتها، ومجاورتها، وإيقاعها، ودرجة عمومها وخصوصها، وما تحمله من إيحاءات واستعمالات، كلها تدخل في سبب تفضيلها. لذلك فإن مقارنة «أتى» و«جاء»، أو صيغ المصادر، أو المفرد والجمع، أو أسماء متقاربة، لا تنتهي إلى قاموس مرادفات، بل إلى شبكة فروق. من أهم ثمار هذا المنهج أنه يقاوم وهم الترادف التام: قد تتقارب كلمتان في أصل الدلالة، لكنهما لا تتطابقان في كل القيود، وقد يخصص القرآن لكل منهما سياقات أو ظلالا. غير أن المنهج الرصين يقتضي هنا الحذر؛ فالفرق يجب أن يثبت باستقراء كاف، لا بمجرد أن النص استعمل كلمتين مختلفتين ثم افتراض ضرورة وجود فرق معجمي صارم في كل موضع.

أما «مراعاة المقام في التعبير القرآني» فهو من أنضج الصيغ النظرية للمشروع، لأنه يجمع الظواهر المتفرقة تحت عامل السياق: الذكر والحذف، التقديم والتأخير، التوكيد وعدمه، الفواصل، الالتفات، وضع الظاهر موضع المضمر أو العكس، اختيار لفظة على أخرى. «المقام» هنا ليس كلمة فضفاضة تبرر أي تأويل، بل مجموعة قيود يجب تفصيلها: موضوع الكلام، حال المخاطب، مقدار سبق المعلومة، ما يحتاج إلى توكيد، ما يفهم بلا تصريح، اتجاه الحجاج، بناء القصة، موقع الآية في السورة، والإيقاع الذي تنتهي به الفواصل. دراسة أكاديمية لكتاب «مراعاة المقام» لخصت عددًا من مظاهره في التقديم والتأخير والذكر والحذف والعموم والخصوص والضمائر؛ وهذا يؤكد أن المقام عند السامرائي موجه يربط الدلالة النحوية واللغوية بالسياق لا مجرد مصطلح بلاغي خارجي.

إذا جمعنا الكتابين نحصل على معادلة مركزية: «دقة الكلمة» لا تُفهم خارج «دقة المقام». فاللفظة التي تبدو أقوى ليست دائمًا الأنسب؛ قد يقتضي المقام الأخف، أو الأعم، أو الموجز، أو الصيغة التي تترك احتمالا مفتوحا. والتوكيد ليس فضيلة مطلقة؛ إذا كان المعنى حاضرا في ذهن المخاطب فقد يكون ترك التوكيد أبلغ. والذكر ليس أكمل دائما، قد يكون الحذف أبلغ حين يوسع المعنى أو يسرع الإيقاع أو يحذف ما يدل عليه السياق. بهذه القواعد تتغير فكرة البلاغة من «زيادة الزينة» إلى «اقتصاد الاختيار»: كل زيادة أو حذف أو تحويل وظيفة تستجيب لضرورة في هندسة الخطاب.

8. لمسات بيانية وأسئلة بيانية ودراسة المتشابه: المدرسة المقارِنة في التطبيق

«لمسات بيانية في نصوص من التنزيل» يعرض نصوصًا من سور مختلفة، منها الفاتحة، ومقاطع من المائدة، ومقارنات في قصة إبراهيم بين الحجر والذاريات، وقصة موسى بين النمل والقصص، ومقارنات بين المؤمنون والزمر، والمؤمنون والمعارج، والطور والقلم، ثم سور أو مقاطع أخرى مثل القمر والجمعة والمنافقون والقيامة والبلد. اختيار هذه المادة يكشف طبيعة الكتاب: المقارنة بين رواية القصة أو المعنى في أكثر من سورة مختبر ممتاز، لأن الثابت الموضوعي يسمح بعزل المتغير التعبيري. فإذا كان الحدث واحدا تقريبا واختلفت الصياغة، صار السؤال: أي فرق في السياق دعا إلى هذا الفرق في العبارة؟ ومن هنا يربط السامرائي بين درجة الخوف أو نوع المشهد أو محور السورة وبين ألفاظ القصة وترتيبها.

«أسئلة بيانية في القرآن الكريم» يعيد المنهج نفسه في قالب تعليمي شديد الفاعلية. السؤال غالبا ينشأ من ملاحظة فرق: لماذا قال هنا كذا وهناك كذا؟ لماذا حذف في موضع وذكر في آخر؟ ما دلالة تقديم كلمة؟ ما الفرق بين صيغتين؟ ترتيب الأسئلة وفق مسار المصحف يجعل الكتاب أشبه بتمرين طويل على الإنتباه. القيمة التربوية ليست في حفظ الأجوبة فقط، بل في تعلم توليد السؤال. قارئ السامرائي الجيد لا ينتظر أن يقول له المؤلف أين اللمسة، يبدأ هو برصد الاختلافات. وهذه مهارة منهجية يمكن نقلها إلى أي نص عربي: ابدأ من anomaly أو variation، ثم لا تفسرها قبل أن تبني مجموعة المقارنة.

أما العمل المتعلق بالمتشابه اللفظي في «ملاك التأويل» فيقع في قلب هذا المسار؛ إذ إن المتشابه اللفظي يضع أمام الباحث آيات شديدة التقارب مع فروق دقيقة، فيجبره على رفض التفسير السطحي القائل إن الصيغ متبادلة بلا أثر. لكن في الوقت نفسه يجب تجنب النقيض المتطرف، أي تحويل كل حرف إلى «سر» لا سبيل إلى اختباره. المعيار العلمي الأقوى هو أن يفسر التعليل مجموعة من المواضع لا موضعا واحدا، وأن يكون متسقا مع استعمال العربية والسياق، وأن يقبل المقارنة بتعليل بديل. بهذه الشروط تتحول مدرسة «اللمسات» من ذوق فردي إلى برنامج تحليلي قابل للنقاش.

9. من أسرار البيان وقبسات وشذرات: توسيع مجال التطبيق

«من أسرار البيان القرآني» كتاب جامع يقترب من أن يكون مختبرًا متنوع المستويات؛ فهو يبحث في أبنية المصادر والصفات والمفردات، ثم في خصائص الاستعمال القرآني من توكيد وذكر وحذف وتقديم وتأخير وتشابه واختلاف، ثم في الفاصلة القرآنية، ثم يطبق على آيات مختارة. أهميته أنه يجمع داخل كتاب واحد ما وزعته بقية المؤلفات على مجالات منفصلة: الصرف، المفردة، التركيب، الإيقاع، والتفسير. ولذلك يمكن اعتباره «نسخة مصغرة من المشروع»، من يريد أن يرى كيف تنتقل الملاحظة من وزن صرفي مثل اختلاف بناء المصدر إلى وظيفة نصية في آية، ثم إلى انسجام الفاصلة، يجد فيه مسارا واضحا.

«قبسات من البيان القرآني» أكثر تركيزًا على مجموعات آيات وسور، ومن موضوعاته آيات الصيام من البقرة، وخواتيم آل عمران، وسورة المجادلة، والتغابن، والانفطار، والقدر، والعصر، ثم أسئلة بيانية. هنا تظهر فكرة «الموقع في الموضوع العام للسورة» بقوة؛ فالآية لا تشرح وحدها، بل يدرس موقعها

قبلًا وبعدًا. وهذا يضيف إلى منهج المقارنة بعدًا خطيًا: ماذا يفعل الانتقال من آية إلى آية؟ كيف يخدم الترتيب نمو الموضوع؟ كيف تتهيأ الفاصلة أو العبارة لما بعدها؟ بهذا يصبح البيان ليس فقط حسن اختيار داخلي للجملة، بل حسن توزيع للجمل داخل مسار النص.

«شذرات من القضاء والجزاء في التعبير القرآني» مثال على تحويل المنهج البياني إلى دراسة مفهومية موضوعية؛ إذ يختار مفهومي القضاء والجزاء، ويفرق بين القضاء والحكم، وينظر في جزاء الأعمال، ثم يجعل سورة فاطر ميدانًا للتحليل. أهمية هذا النوع أنه يمنع اختزال البيان في «زخرفة أسلوبية»: المفردة القرآنية جزء من بناء مفهوم عقدي وأخلاقي. الفروق اللغوية هنا تساعد على ضبط شبكة المفاهيم، والعكس صحيح؛ فهم المجال المفهومي يمنع تفسيرا لغويا مبتورا. ومن هذا الباب يمكن تعميم منهج السامرائي على دراسات المصطلح القرآني: لا يكفي إحصاء الكلمة، بل يجب ربط البنية والمجاورة والسياق والنظائر بعلاقات المفهوم.

10. على طريق التفسير البياني وإضاءات سورة إبراهيم: حين يتحول المنهج إلى تفسير ممتد

«على طريق التفسير البياني» هو أقرب مؤلفات السامرائي إلى مشروع تفسير تطبيقي ممتد. وفق عروض الكتاب وفهارسه، يشتمل الجزء الأول على مقدمات في التفسير البياني وأدواته والتشابه والاختلاف، ثم تفسير سور مثل الفلق والناس والإخلاص والكوثر وقريش والضحى والليل والانسان والصف والحديد، ويتناول الجزء الثاني يس ولقمان، والثالث هود، والرابع الأنبياء. أهمية هذا الانتقال أنه يعود منتقيًا لمواضع شديدة اللمعان فقط، بل يضطر إلى متابعة السورة آية بعد آية، وهو اختبار أصعب لأي منهج؛ لأن التفسير لا يستطيع دائمًا أن يقوم على «فرق لفظي» ظاهر، بل يحتاج إلى الوحدة الموضوعية، والروابط، والاستعانة بالمأثور واللغة وبقية التفاسير.

عرض نقدي منشور في مركز تفسير وصف منهج السامرائي بأنه يستفيد من الزمخشري وعبد القاهر والرازي وأبي حيان وغيرهم، ويركز على النحو واللغة والبلاغة والصرف، وعلى المختلف والمتشابه والوحدة الموضوعية. هذه الملاحظة مهمة لأنها تضع الكتاب في سياقه الحقيقي: «التفسير البياني» ليس بديلًا شاملًا لكل أنواع التفسير. فهو قوي في سؤال «كيف صيغ المعنى؟» ولكنه يحتاج إلى التفسير بالمأثور، وأسباب النزول، والفقه، والعقيدة، والقراءات، والتاريخ حيث تتعلق المسألة بها. السامرائي نفسه لا يستطيع - ولا يدعي منهجيًا - أن جهة البيان تستنفد كل وجوه القرآن. ولذلك فأقوى استعمال للكتاب هو أن يكون طبقة تفسيرية تضاف إلى غيرها، لا أن يحمّل ما ليس من وظيفته.

«إضاءات بيانية في تفسير سورة إبراهيم» يمثل تطبيقًا أحدث وأكثر تركيزًا على سورة واحدة. قيمته في رؤية كيف يعمل المنهج حين تكون الوحدة النصية محددة: الكلمة، الترتيب، التكرار، الربط بين موضوعات السورة، وانتظام المقاطع في غرض أوسع. والتركيز على سورة واحدة مفيد للدارس لأنه يسمح ببناء «خريطة قيود» أدق من المقتطفات المتفرقة. كل تفسير لفرق لفظي يجب أن يعود إلى موضوع السورة واتجاهها، وإلا بقي التعليل موضعيا. بهذا المعنى يمكن اعتبار «إضاءات» خطوة نحو دمج التحليل الميكروسكوبي للكلمة مع التحليل الماكروسكوبي لبنية السورة.

11. التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم: من الجملة إلى معمار المصحف

في «التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم» ترتفع وحدة التحليل من الكلمة والجملة والآية إلى السورة وعلاقاتها. الكتاب يركز على وجوه من علم المناسبات، وبخاصة التناسب بين مفتتح السورة وخاتمتها، والتناسب بين خاتمة سورة ومفتتح التي تليها. هذه النقلة ليست ترفًا؛ إذا كان النص القرآني يوزع الموضوعات بترتيب مقصود، فإن النهاية قد تعيد صياغة السؤال الذي افتتحت به السورة، أو تغلق دائرة دلالية، وقد تمهد الخاتمة للسورة التالية. منهجيًا، هذا يضيف قيدًا جديدًا على التحليل: لا يكفي أن تكون الجملة مناسبة لآيتها، بل ينبغي اختبار موقعها داخل حركة السورة، ثم موقع السورة ضمن تسلسل المصحف حين يكون للتناسب وجه معتبر.

هنا يتضح مبدأ «التناسب متعدد المقاييس». على المستوى الصغير: تناسب الصوت مع المعنى، والصيغة مع المقام. على المستوى المتوسط: تناسب الجملة مع الآية، والآية مع المقطع. وعلى المستوى الكبير: تناسب المفتتح والخاتمة، والسور المتجاورة. كل مستوى لا يلغي الآخر، بل يمكن أن تتراكم الأسباب. وهذا يمنح مشروع السامرائي بعدا نظاميا: الاختيار البلاغي لا يحدث في نقطة معزولة بل داخل شبكة. ومع ذلك، فإن علم المناسبات من أكثر المجالات عرضة للتكلف إذا فرضت روابط ضعيفة، ولذلك ينبغي أن تخضع الدعوى لقرائن موضوعية واضحة: اشتراك لفظي ذو وظيفة، استكمال موضوع، تقابل بنيوي، انتقال حجاجي مفهوم، لا مجرد تشابه يمكن إيجاده في أي نصين متجاورين.

12. نداء الروح ونبوة محمد من الشك إلى اليقين: الخلفية الإيمانية للمشروع

«نداء الروح في الإيمان بالله واليوم الآخر» و«نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الشك إلى اليقين» يبدوان لأول وهلة بعيدين عن كتب النحو والبيان، لكنهما يكشفان الدافع الوجودي الكامن وراء جانب من المشروع. فالدراسة البيانية عند السامرائي ليست لعبة لغوية محايدة في هدفها النهائي؛ هو يربط إحكام التعبير القرآني بدلالة الوحي والإيمان، ويعرض في كتاب النبوة مسارا حجاجيا من الشك إلى اليقين. لهذا السبب كثيرا ما تنتهي التحليلات البيانية عنده إلى تقرير أن هذا الإحكام لا يفسر تفسيرا بشريا عاديا. ويمكن للباحث أن يفصل بين مستويين: المستوى اللغوي القابل للفحص، حيث نختبر الفرق بين صيغتين وسياقين؛ والمستوى العقدي الاستدلالي، حيث تضم هذه الفروق إلى حجة أوسع عن مصدر القرآن والنبوة. الفصل المنهجي بين المستويين يزيد الحجة قوة؛ لأن صحة تحليل نحوي جزئي لا ينبغي أن تحمل وحدها عبء البرهان العقدي كله.

والفائدة التربوية من هذين الكتابين أن مشروع السامرائي ينطلق من علاقة وثيقة بين المعرفة والإيمان، لكنه، حين يكون في أفضل حالاته العلمية، لا يكتفي بالانفعال بجمال النص، بل يحاول تحويل الانفعال إلى تحليل: ما موضع الجمال؟ ما البديل الممكن؟ ما الذي يضيع بتغييره؟ هذا الانتقال من «الإحساس بالإعجاز» إلى «تحليل البنية» هو الذي يعطي مؤلفاته اللغوية قيمتها حتى عند قارئ يريد دراسة العربية من حيث هي عربية. وفي المقابل، من يقرأها في إطار ديني يرى أن المعرفة النحوية تصبح وسيلة تدبر، أي أن القاعدة لا تنتهي عند الامتحان الدراسي بل تستثمر في قراءة الوحي.

القسم الثاني: ملفات تفصيلية للكتب المفردة

الغرض من هذا القسم هو منح ذويان الكتب في الخريطة العامة. لكل كتاب وظيفة خاصة، ولذلك تُعاد قراءته هنا بوصفه وحدة مستقلة، مع بيان ما يضيفه إلى المشروع وما ينبغي أن يبقى في ذهن القارئ بعد إغلاقه.

معاني النحو 1-4

هذا الكتاب هو المركز الذي ينبغي أن تقاس إليه بقية المؤلفات؛ ليس فقط لأنه أضخمها، بل لأن بنيته تكشف تصورًا كاملًا لوظيفة النحو. يبدأ من الجملة والإعراب والتعريف والتنكير، ثم يمر بأبواب الأسناد والنواسخ والفاعل والمفاعيل والقيود والمشتقات والتوابع، وينتهي إلى أنظمة شرطية وانشائية مثل الشرط والنفي والاستفهام والتعجب والنداء. قيمة هذا الامتداد أنه يعيد توزيع أبواب النحو حول سؤال واحد: ما الذي يفعله التركيب في المعنى؟ فإذا قلت إن المعرفة غير النكرة لم تكمل الدرس حتى تبين أثر التعريف في التعيين والعهد والجنس والحضور الذهني. وإذا قلت إن المبتدأ مرفوع والخبر مرفوع لم تكمل وظيفة الجملة حتى تدرس ترتيب الطرفين، ومتى يسوغ الحذف، ومتى يكون التقديم ذا أثر، وما الذي يضيفه كون الخبر مفردا أو جملة أو شبه جملة. بهذه الطريقة يتحول كل باب إلى «متحول دلالي» يمكن أن يغير تفسير النص.

وللكتاب أهمية خاصة في أبواب النفي والشرط والاستفهام والتوكيد، لأنها أبواب تمس مباشرة بناء الحجاج والمعنى المنطقي. النفي لا يُقرأ كعلامة سالبة مجردة، أداة النفي، زمن الفعل، موقع النفي، والاستثناء بعده يمكن أن تغير نطاق الحكم. والشرط لا يربط جملتين فحسب؛ نوع الأداة وطبيعة الفعل ودرجة تحقق الشرط تدخل في رسم العلاقة بين المقدمة والنتيجة. والاستفهام قد يخرج من طلب المجهول إلى أغراض بلاغية متعددة لا تعرف إلا بالمقام. أما التوكيد، فليس مقياسًا مطلقًا لقوة المعنى، بل يسأل عن حاجة المخاطب إليه. هذا الربط بين التركيب والحجاج يجعل «معاني النحو» ذا صلة مباشرة بأصول الفقه وعلم الكلام والتفسير، لأن كثيرًا من الخلافات في هذه العلوم تبدأ من تحديد نطاق لفظ أو جملة.

ومن أعمق أفكار الكتاب أن تعدد الوجه الإعرابي ليس دائمًا مشكلة يجب القضاء عليها، قد يفتح الوجه الثاني معنى إضافيًا منسجمًا، وقد يتسع النص لأكثر من علاقة. هنا يصبح الإعراب أداة استكشاف للمعنى لا مجرد تصنيف. غير أن الاتساع لا يعني الفوضى؛ كل وجه يحتاج قرينة لغوية وسياقية. هذه الروح هي ما يجب أن يأخذه القارئ من الكتاب حتى لو لم يحفظ كل مسألة، حين يرى تركيبًا، يسأل ما العلاقات الممكنة؟ ما القيود التي تمنع بعض الوجوه؟ وما الذي يضيفه كل وجه إلى الصورة؟ هذه الأسئلة تشكل عقلًا نحويًا يتجاوز الإعراب الآلي.

وعند القراءة العملية لا ينصح بالتعامل مع الأجزاء الأربعة ككتاب سردي، الأفضل بناء «دفتر فروق» موضوعي: صفحة للتعريف والتنكير، وأخرى للذكر والحذف، وثالثة للتقديم، ورابعة للنفي والشرط، وهكذا. في كل صفحة تجمع القاعدة مع الشاهد ومع الفرق الدلالي. بهذه الطريقة يتحول الضخم إلى شبكة قابلة للاستدعاء، وتظهر صلاته تلقائيًا بكتب التعبير القرآني. وهذا هو المعنى الحقيقي لاعتبار «معاني النحو» قلب المشروع: منه تأتي معظم الأدوات التي سيطبقها المؤلف لاحقًا على النص القرآني.

الجملة العربية: تأليفها وأقسامها

الكتاب أشبه بدراسة تشريحية للجملة العربية قبل الانتقال إلى فسيولوجيا معناها. يبدأ من مفاهيم الكلمة والكلام والجملة والإسناد، ثم يحدد عناصر التأليف، ويعطي عناية للذكر والحذف وأدلة المحذوف، ثم يقسم الجمل بحسب بنيتها ووظيفتها. أهمية هذا العمل أن القارئ يتعلم التفريق بين «المادة» و«العلاقة»: الكلمات قد تكون واحدة تقريبًا لكن صورة الإسناد تختلف، ومن ثم يختلف ما يجعل محورا وما يجعل تابعا أو قيدا. لذلك فالكتاب مفيد لمن يريد فهم كيف يبني النحويون الوحدة التي سينطلق منها التحليل الدلالي.

ويضيف الكتاب عنصر النغمة الصوتية إلى عناصر الجملة، وهي إشارة مهمة إلى أن المعنى في الكلام الطبيعي لا يصدر من الرسم وحده. النغمة قد تميز خبرا من استفهام أو انفعال من تقرير، وإن كان النص المكتوب يعوض بعض ذلك بالسياق والأدوات. وعند القرآن تصبح الفاصلة والإيقاع جزءًا من المشهد الصوتي الأوسع، ولذلك يمكن رؤية هذا الكتاب تمهيدا بعيدا لمباحث الفاصلة في مؤلفاته البيانية. كما أن باب الحذف هنا يعطي أدوات تأسيسية لفهم كيف يستدل على المحذوف دون أن يتحول الحذف إلى ذريعة لتقدير أي شيء.

الفرق بين هذا الكتاب و«معاني النحو» أن الأول يريد تثبيت هندسة الجملة نفسها، أما الثاني فيتوسع في معاني جميع الأبواب. ولهذا فإن طالبًا يجد «معاني النحو» ثقيلا يستطيع أن يبدأ بهذا الكتاب ليكتسب لغة الوصف، ثم يعود إلى الموسوعة. وفي مشروع التفسير البياني، هذه اللغة الوصفية ضرورة: لا يمكنك أن تقول إن تقديم عنصر أفاد معنى إلا إذا كنت تعرف ما الرتبة الأصلية، وما نوع العنصر، وما حدود الجملة التي وقع فيها التقديم.

الجملة العربية والمعنى

هذا الكتاب هو الوجه الدلالي الصريح لدراسة الجملة. يلفت إلى أن الدلالة قد تكون قطعية أو احتمالية، ظاهرة أو مستفادة من الفحوى، ويجعل من «أمن اللبس» مبدأً شارحا لكثير من أنماط العربية. لكنه في الوقت نفسه يبين أن الاحتمال قد يكون مقصودا ومثمرا. وهذه النقطة ذات وزن نظري: البلاغة لا تعني دائمًا الوصول إلى جملة لها تفسير واحد، أحيانًا يكون الجمال في أن الصيغة الواحدة تحتمل معنيين متوافقين من غير أن تفقد الانضباط. هذا ما يمكن تسميته «اقتصاد التعدد»: عبارة قصيرة تحمل أكثر مما تحمله إعادة صياغة أطول.

يناقش الكتاب أدوات مثل الحذف والتضمين والألفاظ المشتركة والعدول من تعبير إلى آخر وتعدد الوجوه الإعرابية والعطف بين المتغايرين. يجمعها سؤال واحد: كيف تستطيع العربية أن توسع مجال الدلالة من دون أن تسقط في الإبهام؟ التضمين مثلا يسمح للفعل أن يحمل معنى فعل آخر فيكتسب شيئا من تعديته أو علاقته، والحذف يترك فراغا يملؤه السياق أو يفتح عموما، والاشتراك يحتاج قرينة. لذلك فالقارئ يتعلم ألا يساوي بين «عدم التصريح» و«عدم المعنى»؛ كثير من المعنى يبنى في العلاقات والافتراضات السياقية.

الكتاب شديد الصلة بعلوم التأويل، لأن أي مفسر أو أصولي يواجه السؤال نفسه: متى يجوز حمل الكلام على أكثر من وجه؟ متى يكون الاحتمال معتبرا؟ ومتى يكون تكلفا؟ السامرائي لا يقدم نظرية أصولية مكتملة لذلك، لكنه يزود القارئ بأمثلة لغوية تجعل هذه الأسئلة محسوسة. ومن هنا يمكن قراءة الكتاب إلى جانب مباحث دلالات الألفاظ في أصول الفقه للاستفادة من تلاقي المدرستين.

معاني الأبنية في العربية

يفرض الكتاب على القارئ أن ينظر إلى الصرف بوصفه علم معنى لا علم تصريف شكلي. الجذر يعطي مجالًا دلاليًا، لكن البناء يوجه هذا المجال. زيادة حرف أو تغير وزن قد ينقل الفعل من اللزوم إلى التعدية، أو يضيف المشاركة أو الطلب أو المطاوعة أو التكلف أو الكثرة بحسب الاستعمال. والمصادر والمشتقات ليست نسخا مختلفة بصريا للمعنى نفسه، بل لها خصائص في الثبوت والحدوث والفاعلية والمفعولية والدرجة. بهذه الرؤية يصبح الصرف أول طبقة من Layers التحليل قبل النحو.

منهج الكتاب، كما تصفه صفحات الناشر، يقوم على النظر والموازنة بين النصوص في استعمال الصيغ، مع اعتماد الاستعمال القرآني وضوابط علماء اللغة. وهذه نقطة ينبغي الاحتفاظ بها: معنى الوزن لا يثبت من القاموس فقط، بل من distribution؛ أي من المواضع التي تستعمل فيها الصيغة وما تقترن به. لو أعيد بناء الكتاب اليوم بأدوات corpus، لأمكن قياس هذه التوزيعات على ملايين الكلمات العربية، وهو امتداد طبيعي لروحه الاستقرائية.

وتظهر ثمرة الكتاب بوضوح في «من أسرار البيان القرآني»، حيث يقارن المؤلف بين أبنية مصادر وصفات ومفردات. من لا يملك خلفية «معاني الأبنية» قد يرى تلك المقارنات لطائف متفرقة، أما من قرأه فيفهم أنها تطبيق لنظرية أعم: البنية نفسها اختيار. وهكذا يربط الكتاب بين صرف العربية وبلاغة القرآن بجسر علمي واضح.

تحقيقات نحوية

ميزة «تحقيقات نحوية» أنه يدرّب القارئ على مقاومة القصص السهلة عن التراث. عندما يقال مثلًا إن النحاة أخطؤوا في عد عنصر ما حرفًا لا ضميرا، أو إن جمهورهم منع تركيبا، أو إن مدرسة نحوية قالت قولا بعينه، لا يقبل الكتاب النسبة قبل التتبع. هذه العقلية مهمة لأن كثيرا من الكتب المعاصرة تبني «تجديدها» على صورة مبسطة عن القدماء. التحقيق الحقيقي يبدأ بجمع النصوص الأصلية وتحرير المصطلح ثم معرفة هل الخلاف لفظي أم حقيقي.

في المشروع الأكبر، وظيفة الكتاب هي ضبط البنية التحتية. التفسير البياني يعتمد على قواعد ومفاهيم نحوية؛ فإذا كان المفهوم نفسه مشوشًا، انتقلت المشكلة إلى التفسير. لذلك يعكس الكتاب جانبا من شخصية السامرائي الباحثة: ليس همه البيان القرآني فقط، بل إعادة فحص تفاصيل الصناعة التي يعتمد عليها البيان. كما أنه يذكرنا بأن المؤلف نفسه قابل للنقد، فقد وجدت دراسات حديثة أن بعض تحقيقاته أدق من غيرها، وأن بعض الآراء قد لا تميز بالجدة المزعومة. وهذه نتيجة صحية لأي مدرسة علمية.

ابن جني النحوي

هذا العمل المبكر، المرتبط بتكوين السامرائي الجامعي، مهم لفهم جذور اهتمامه بالبنية والدلالة. ابن جني من أكثر علماء العربية حساسية للعلاقة بين الصوت والبنية والاشتقاق والقياس، والاشتغال عليه يفتح أمام الباحث أسئلة تتجاوز إعراب الجمل إلى طبيعة اللغة نفسها. حتى من غير تحويل كتاب السامرائي إلى نسخة من «الخصائص»، يمكن رؤية أثر هذه البيئة الفكرية في ميله اللاحق إلى البحث عن معنى التغير الصغير في الصيغة والصوت.

وظيفة الكتاب في corpus ليست أن يمدنا بقواعد تفسير قرآني مباشرة، بل أن يكشف تدريب المؤلف على قراءة عالم نحوي من داخله: مصطلحاته، أصوله، طرائق احتجاجه. وهذا النوع من الدراسات يمنح الكاتب حصانة نسبية من الانتقائية؛ لأنه تعلم أولًا تاريخ الصناعة قبل أن يقترح طريقة جديدة في عرضها.

أبو البركات ابن الأنباري ودراساته النحوية

توضح طبعات الكتاب الحديثة أنه يتناول سيرة ابن الأنباري وثقافته وشيوخه وتلامذته، وجهوده في علوم العربية، ومسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، وأصول النحو، وموقفه من الشواهد والعوامل. هذه الموضوعات تجعل الكتاب درساً في epistemology النحو التقليدي: ما الدليل؟ كيف يحتج بالشاهد؟ ما موقع القياس؟ كيف تؤثر المدرسة في الترجيح؟ ومن هنا فهو أكثر من ترجمة عالم.

صلة الكتاب بمشروع السامرائي اللاحق تأتي من «الخلاف» و«الشاهد». حين يوازن المؤلف بين تعبيرين قرآنيين فهو يقوم بصورة حديثة من الاحتجاج بالمادة اللغوية، وحين يرجح معنى لتركيب فهو يحتاج إلى وعي بالخلافات التي صاغها السابقون. لهذا يمكن أن يقرأ الكتاب كدراسة في الخلفية المنهجية التي منعت السامرائي من اختزال النحو في رأي مدرسي واحد.

الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري

هذه أطروحة الدكتوراه، وهي من أهم المفاتيح لفهم المرحلة التي سيتجه فيها السامرائي إلى القرآن. يتناول الكتاب عصر الزمخشري ونشأته وسيرته، وتطور التأليف النحوي حتى عصره، والشواهد وموقف النحاة منها، ثم دراساته النحوية واللغوية. الزمخشري نفسه حالة فريدة لأنه نحوي ولغوي ومفسر بلاغي، و«الكشاف» نموذج تاريخي لامتزاج الإعراب بالبيان. لذلك ليس غريباً أن يخرج من دراسة عميقة له باحث يجعل النحو وسيلة لقراءة الاختيار القرآني.

الأثر الأعمق هو ترسيخ مبدأ أن تفسير القرآن يحتاج إلى فقه اللغة في أعلى مستوياته، وأن النكتة البلاغية لا تنفصل عن بناء الجملة. عرض مركز تفسير لمنهج السامرائي لاحظ اعتماده على الزمخشري ضمن مصادره، إلى جانب عبد القاهر والرازي وأبي حيان وغيرهم. بهذا يتضح أن كتاب الزمخشري ليس مرحلة انقضت، بل مخزون منهجي ظل حاضراً في الأعمال المتأخرة.

كما يعلم الكتاب الباحث ضرورة الفصل بين الاستفادة والموافقة. يمكنك أن تأخذ من الزمخشري دقة التحليل اللغوي من غير أن تتبنى كل اختياراته العقدية أو التفسيرية. وهذه قدرة أساسية في البحث التراثي: تفكيك العالم إلى أدوات وحجج يمكن تقييمها بدل قبوله أو رفضه كتلة واحدة.

التعبير القرآني

هذا الكتاب هو بوابة المشروع القرآني الأكثر اتساعاً، ومن وصف الناشر يتبين أنه دراسة مستفيضة تقوم على الموازنات بين آيات من حيث التشابه والاختلاف في التعبير وما يتصل بذلك من جوانب لغوية وبلاغية ومعنوية. الموازنة هنا ليست زينة عرض، إنها طريقة اكتشاف. فحين تتساوى أجزاء كثيرة من السياق ويختلف عنصر واحد، يزداد احتمال أن يحمل الاختلاف وظيفة محددة. وهذا شبيه بفكرة controlled comparison في البحث: تقلل المتغيرات حتى ترى أثر المتغير الباقي.

أبرز الحقول التي يعمل فيها المنهج: اختيار المفردة، التقديم والتأخير، التعريف والتنكير، الذكر والحذف، الفعل والاسم، الأزمنة والصيغ، التوكيد، الضمائر، وأحياناً الفاصلة. لكن قوة الكتاب في الجمع بين هذه الحقول: قد لا يكون السر في واحد منها منفردا. ربما اختيرت كلمة لأن معناها أدق ولأن فاصلتها أنسب ولأنها تتناغم مع محور السورة. هذه «تعددية السبب» تمنع التفسير الأحادي الساذج.

والكتاب يؤسس لمعيار مهم في التدبر: لا تستبدل لفظة قرآنية بمرادف ظاهري ثم تقول إن المعنى لم يتغير. جرّب الاستبدال ذهنياً واسأل ما الطبقات التي فقدت. هذه التجربة المقارنة لا تثبت وحدها إعجازاً، لكنها تكشف كثافة الاختيار. وإذا تكررت الفروق المنضبطة عبر corpus واسع، صارت لدينا ظاهرة تستحق التفسير العلمي والبلاغي.

لذلك، لو اضطر القارئ إلى كتاب واحد من مؤلفات البيان ليفهم «طريقة السامرائي»، فهذا من أقوى الخيارات؛ لأنه لا يحصر المنهج في كلمة أو سورة بل يعرض أنماطاً متنوعة. وما يأتي بعده إما تعميق لمستوى محدد أو تطبيق ممتد.

بلاغة الكلمة في التعبير القرآني

الكتاب يضع المفردة تحت المجهر. لا يقصد بالكلمة مجرد المعنى المعجمي، بل يراها مركباً من جذر وبنية وصوت واستعمال وتاريخ سياق. لذلك يمكن لكلمتين أن تتقاربا في المعجم ثم تختلفا في القوة أو الامتداد أو الملازمة أو السياق. وتصبح المهمة استقراء استعمال كل واحدة قبل إعلان الفرق. هذا المنهج مفيد جداً في محاربة القراءة التي تسوي بين كل «المترادفات» ثم تتساءل لماذا تغير اللفظ.

لكن هذا المجال يحتاج أكبر قدر من الانضباط، لأن النفس تميل إلى اختراع فروق بعدية. ولذلك يجب التمييز بين ثلاثة مستويات: فرق ثابت في أصل اللغة، فرق غالب في الاستعمال، وفرق خاص بمقام آية. خلط هذه المستويات قد يحول الملاحظة الصحيحة إلى قاعدة مطردة كاذبة. القراءة النقدية للكتاب ينبغي أن تسجل لكل فرق: ما الأدلة المعجمية؟ كم موضعا قرآنيا يدعمه؟ هل توجد أمثلة مضادة؟ وهل يمكن للسياق وحده تفسيره؟

عند ضبط هذه الشروط يصبح الكتاب تدريبا ممتازا في lexical semantics العربية، وبكل «معاني الأبنية»؛ فالأخير يسأل عن معنى الصيغة، وهذا يسأل عن دقة اختيار المفردة داخل النص. ومع «مراعاة المقام» يكتمل مثلث: معنى الكلمة، معنى البناء، وملاءمة السياق.

مراعاة المقام في التعبير القرآني

إذا كان لا بد من اختيار مفهوم واحد يفسر غالبية الفروق عند السامرائي فهو «المقام». الكتاب يجعل المقام حاضراً في الذكر والحذف، التقديم والتأخير، التوكيد وعدمه، الفواصل، الالتفات، والاختيار المعجمي. المعنى العملي للمقام هو أن التعبير المناسب يتحدد بما يحتاجه هذا الموضع تحديدا، لا بما يعد أفصح في الفراغ. قد يكون التوكيد مناسبا مع الإنكار وغير مناسب مع التسليم، وقد يكون ذكر الاسم ضروريا لإعادة تنشيط المرجع بينما يكفي الضمير في موضع اخر.

هذا يقترب من pragmatics: جزء من المعنى لا يوجد في اللفظ وحده بل في العلاقة بين المتكلم والخطاب والسياق والمعلومات المشتركة. لكن السامرائي يطبق ذلك داخل تراث البلاغة العربية وعلوم القرآن. لذلك يمكن للباحث المعاصر أن يستخدم مصطلحات مثل information structure وfocus وpresupposition لتطوير بعض ملاحظاته، مع الحرص على عدم إسقاط نظريات حديثة على النص دون برهان.

أهم خطر في مفهوم المقام أنه إذا لم يفصل يصبح تفسيرا دائريا: «اختير اللفظ لأنه يناسب المقام، ونعرف المقام لأنه اختير اللفظ». للخروج من الدائرة يجب وصف المقام بقرائن مستقلة: موضوع السورة، نوع المخاطب، ما سبق ذكره، طبيعة الحجاج، والمشهد القصصي. كلما كان الوصف مستقلا زادت قوة التعليل. بهذا الضبط يصبح الكتاب من أكثر أعمال السامرائي قابلية للتحويل إلى منهج بحثي عام.

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل

الكتاب يبرهن فاعلية المقارنة في نصوص محددة. فهرسه يضع القارئ أمام قصص أو سور متجاورة في المعنى، مثل قصة إبراهيم في الحجر والذاريات، وقصة موسى في النمل والقصص. هذه المقارنات ممتازة تربويا لأن القارئ يعرف أن القصة واحدة في الأصل، فيضطر إلى تفسير اختلاف زاوية السرد. هنا تظهر علاقة العبارة بالمشهد: مقدار الخوف، موضع الحوار، التركيز على الشخصية، سرعة الحدث، ونقطة العبرة قد تغير الألفاظ والترتيب.

ومن فوائد الكتاب أنه يجعل الوحدة المقارنة أكبر من كلمة. أحيانا يكون الفرق سلسلة: فعل مختلف، ثم تقديم، ثم حذف، ثم فاصلة. تفسير عنصر واحد بمعزل عن البقية قد يفشل. لذلك يجب على القارئ رسم «جدول فرق» بين المقطعين قبل قراءة تعليل المؤلف. هذه الممارسة تحول الكتاب إلى مختبر، وتسمح للطالب أن يقيس نفسه: هل وصل إلى بعض التعليل قبل أن يراه؟

كما أن الكتاب يبين أن البيان القرآني لا ينحصر في القصص؛ فهناك سور ومقاطع تشريعية وإيمانية. هذا الاتساع مهم لأنه يختبر صلاحية المنهج عبر genres مختلفة داخل القرآن: قصة، وعظ، حكم، تصوير أخروي، خطاب للمؤمنين. كل نوع يفرض قيودا مختلفة على التعبير.

أسئلة بيانية في القرآن الكريم 1-2

هذه السلسلة هي الشكل البيداغوجي الأمثل للمشروع. السؤال يجبر العقل على اكتشاف «المشكلة» قبل الجواب. كثير من الطلاب يمرون على اختلاف لفظي دون أن يروه، حين يصاغ في سؤال يصبح الاختلاف بارزا. ولأن الكتاب مرتب حسب الموضوعات في المصحف، فهو يصلح رفيقا للتلاوة: كلما مر القارئ بموضع له نظير استحضر السؤال، ثم عاد إلى المصادر.

القيمة العلمية الحقيقية ليست كثرة الإجابات بل تكوين generator للأسئلة. بعد مدة ينبغي أن يبدأ القارئ بإنتاج أسئلته التي لا توجد في الكتاب. عندها يكون قد استوعب المنهج. ويمكن تحويل الكتاب إلى قاعدة بيانات: كل سؤال يسجل معه نوع الظاهرة (صرف، نحو، معجم، ترتيب، حذف، فاصلة)، والسياق، والجواب، ومدى قوة الدليل. مثل هذه القاعدة ستكون أداة بحث ضخمة في البيان القرآني.

ومن زاوية التعليم، أسلوب السؤال والجواب يساعد الحفظ لكنه قد يوهم أحيانا أن لكل سؤال جوابا واحدا نهائيا. لذلك ينبغي للباحث المتقدم أن يضيف مرحلة «الجواب البديل»: ما التفسيرات الأخرى الممكنة؟ لماذا يفضل جواب السامرائي؟ وهل توجد مواضع تضعفه؟ هذه الإضافة تنقل الكتاب من ثقافة الجواب إلى ثقافة البرهان.

من أسرار البيان القرآني

بحسب فهرس دار الفكر ووصف دار ابن كثير، يتحرك الكتاب من الأبنية القرآنية - المصادر والصفات والمفردات - إلى خواص الاستعمال مثل التوكيد والذكر والحذف والتقديم والتأخير والتشابه والاختلاف، ثم إلى الفاصلة، ثم إلى تفسير آيات مختارة. هذه البنية تجعله دورة مكثفة في المنهج كله. فالقارئ يبدأ من microstructure للكلمة وينتهي إلى تفسير النص، مرورا بالصوت والتركيب.

الأمثلة التي يذكرها وصف الناشر مثل الثواب والمثوبة، الرضوان والمرضاة، التائب والتواب، الخائن والخوان، أتى وجاء، رجع ورد، المهد والمهاد، تكشف نوع العمل: مقارنات بين أبنية تبدو متقاربة. المقصد أن الوزن أو اللفظ لا يستبدل بلا أثر. ومن ثم يربط الكتاب ذلك بخصائص قرآنية أوسع. هذه الطريقة تجعل الكتاب مناسبا لمن يريد أن يرى «pipeline» التحليل في مجلد واحد.

الفاصلة القرآنية في هذا السياق ليست قافية تجبر النص على لفظ معين، بل عنصر من عناصر الانسجام قد يتكامل مع المعنى. التحليل الجيد لا يقول إن اللفظة اختيرت «للفاصلة فقط»، بل يبين كيف تحقق الدقة الدلالية والانسجام الصوتي معا. هذه الثنائية من أهم علامات البيان العالي: لا يضحي المعنى بالصوت ولا الصوت بالمعنى.

قبسات من البيان القرآني

فهرس الكتاب يضم آيات الصيام، خواتيم آل عمران، المجادلة، التغابن، الانفطار، القدر، العصر، ثم أسئلة بيانية. هذه الاختيارات تجمع تشريعًا وذكرًا وفكرًا أخرويا وسورا قصيرة، وتؤكد أن أدوات البيان تعمل عبر موضوعات مختلفة. التركيز على موقع الآية في موضوع السورة يجعل الكتاب خطوة بين «اللمسات» الموضعية والتفسير الممتد.

بالنسبة للباحث، أفضل قيمة في الكتاب هي تعلم «الاستقصاء في الآية الواحدة»: لا تتوقف عند الإعراب، بل اجمع أقوال المفسرين واللغويين والمعجميين والبلاغيين، ثم انظر ماذا تضيف المقارنة. هكذا يكون السامرائي وريثا لتراث متعدد المصادر لا صاحب intuition منفرد. وهذا المنهج الاستقصائي يمكن أن يعمم على أي مشروع تفسير لغوي حديث.

شذرات من القضاء والجزاء في التعبير القرآني

الكتاب يختلف عن كثير من كتب السامرائي لأنه يختار حقلًا مفهوميًا محددًا: القضاء والجزاء. يبدأ بضبط معنى القضاء وصلته بالحكم، ثم ينظر في الجزاء الأخروي على الأعمال، ويستخدم سورة فاطر ميدانًا. هذه الطريقة تجمع semantic field analysis بالتفسير البياني: الكلمة تفهم ضمن عائلة مفاهيم وعلاقات، ثم ينظر كيف ينسجها النص.

الفائدة المنهجية أن البيان ليس دائمًا مقارنة لفظتين متشابهتين؛ قد يكون تحليل شبكة مفاهيم عبر سورة. وهذا يفتح بابًا لدراسات قرآنية معاصرة: الرحمة والعذاب، الهدى والضلال، العلم والجهل، البيع والشراء، الحياة والموت، مع مراعاة البنية الصرفية والنحوية لا الإحصاء المعجمي وحده.

التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم

هذا الكتاب يمثل المستوى الأعلى scale-wise. بدلاً من السؤال لماذا تقدمت كلمة، يسأل كيف تتناسب بداية السورة مع نهايتها، وكيف تمهد خاتمة سورة لمطلع التالية. إنه انتقال من micro-stylistics إلى macro-coherence. الفرضية أن ترتيب النص يمكن أن يحمل علاقات تتجاوز الآية، وأن الوحدة القرآنية ترى في وصل المقاصد والبنى.

أهمية هذا المنهج أنه يمنع التجزئة الشديدة، لكنه أيضًا أكثر عرضة للتكلف. لذلك يجب ترتيب درجات التناسب: علاقة صريحة في الموضوع أو اللفظ أقوى من تشابه بعيد، والتقابل البنيوي المتكرر أقوى من ملاحظة واحدة. يمكن للباحث أن يعطي كل علاقة «درجة ثقة» بدل معاملتها كلها باليقين نفسه. هذا التطوير يجعل علم المناسبات أكثر قابلية للبحث المنهجي.

على طريق التفسير البياني 1-4

هذا أوسع اختبار تطبيقي للمنهج. الجزء الأول يقدم قواعد وأدوات ثم يفسر مجموعة سور، ثم تتوسع الأجزاء إلى يس ولقمان وهود والأنبياء. الانتقال إلى سورة كاملة يجبر المفسر على التعامل مع مواضع لا توجد فيها دائمًا مفارقة بيانية لافتة، ومن ثم يحتاج إلى توازن بين اللغة والسياق والمأثور والوحدة الموضوعية. لهذا الكتاب قيمة أكبر من مجموعة لطائف؛ إنه محاولة إثبات أن المنهج قادر على العمل باستمرار.

عرض مركز تفسير يشير إلى تأثر المؤلف بالزمخشري وعبد القاهر والرازي وأبي حيان وغيرهم، وإلى اهتمامه بالمتشابه والمختلف وبالوحدة الموضوعية. وهذه المصادر مهمة لفهم أن «التفسير البياني» ليس اختراعا منفصلا عن تاريخ التفسير، بل إعادة تمركز لبعض أدواته. السامرائي يختار زاوية البيان ويعطيها مركزية أكبر، لكنه يتحرك داخل تقاليد تفسيرية راسخة.

من الناحية النقدية، الكتاب يعلم أيضا حدود التخصص. البيان يمكن أن يشرح دقة الصياغة، لكنه لا يحسم وحده كل مسألة تاريخية أو فقهية أو عقدية. ولذلك يجب أن يقرأ مع تفسير بالمأثور وتفسير لغوي أقدم وربما تفسير مقاصدي؛ عندها يرى القارئ ماذا يضيف كل منظور. هذه المقارنة بين التفاسير نفسها تطبيق لمبدأ السامرائي: الفرق يكشف الوظيفة.

أفضل تمرين بحثي مع هذا الكتاب هو أخذ سورة واحدة وبناء طبقات: البنية الموضوعية، الروابط بين المقاطع، المفردات المفتاحية، الظواهر النحوية، الفواصل، والنظائر في سور أخرى. ثم مقارنة هذه الخريطة بتفسير السامرائي. بهذه الطريقة يصبح الطالب مشاركا في التفسير لا قارئا سلبيا.

إضاءات بيانية في تفسير سورة إبراهيم

التركيز على سورة إبراهيم يسمح بتطبيق مكثف لمنهج السامرائي المتأخر: كل حرف أو كلمة أو ترتيب يُنظر إليه في سياق السورة، مع فرضية أن التعبير الفني مقصود. قيمة الكتاب ليست فقط في النتائج الفردية بل في model الدراسة السورية؛ حين تحدد corpus مغلقا نسبيا نستطيع تتبع التكرار والمفردات المركزية والتقابلات بصورة أدق.

ومن جهة البحث، يمكن استخدام الكتاب نموذجا لدراسة قابلة لإعادة الإنتاج: يقرأ باحثان السورة، ينبيان قائمة الظواهر، ثم يقارنان تفسيرات مستقلة. مواضع الاتفاق تعطي قرائن قوية، ومواضع الاختلاف تكشف أين يدخل الذوق. هذا النوع من العمل يمكن أن يطور التفسير البياني من المدرسة الفردية إلى المدرسة التعاونية.

نداء الروح في الإيمان بالله واليوم الآخر

هذا الكتاب المبكر يكشف أن قضايا الإيمان والآخرة لم تكن خاتمة جاءت بعد التخصص اللغوي، بل جزءًا من تكوين المؤلف. لذلك يمكن فهم كثير من خطاب كتبه القرآنية في ضوء غاية إيمانية: زيادة اليقين عبر التأمل في النص. ومع ذلك، يجب الفصل في الورقة العلمية بين التجربة الوجدانية والحجة اللغوية؛ الأولى تعطي الدافع، والثانية تحتاج أدوات تحقق.

مكان الكتاب في الخريطة هو «الغاية» لا «الآلة». فالآلة بناها النحو والصرف والبلاغة، والغاية عند المؤلف أوسع من وصف اللغة: الوصول إلى معرفة وإيمان. هذا يفسر نبرة كتبه الأخيرة التي تربط أسرار البيان بمصدر القرآن.

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الشك إلى اليقين

العنوان نفسه يعلن مسارًا معرفيًا: انتقال من حالة شك إلى يقين حول النبوة. الكتاب مصنف في العقيدة والردود، وتذكر الفهارس المتاحة طبعات في أكثر من ثلاثمئة صفحة. وهو يختلف عن كتب البيان في أن مركزه حجاجي عقدي، لكنه مهم لفهم كيف ينظر السامرائي إلى الدليل: ليس الإيمان عنده انفصالا عن النظر، بل يمكن أن يمر عبر سؤال واعتراض ثم تراكم حجج.

عند ربط هذا الكتاب بالمشروع البياني ينبغي تجنب اختزال أحدهما في الآخر. الدقة اللغوية للقرآن يمكن أن تكون جزءًا من evidence cumulative، لكنها ليست الدليل الوحيد على النبوة. السيرة، مضمون الدعوة، حفظ النص، التاريخ، وشخصية النبي وغيرها تدخل في بناء الحجة. هذا التعدد يجعل الانتقال من «البيان» إلى «اليقين» أكثر صلابة من الاعتماد على لطيفة بلاغية مفردة.

القسم الثالث: أطلس المفاهيم العابرة للكتب

هذه المقالات القصيرة نسبيًا لا تلخص كتبًا، بل تجمع الظاهرة الواحدة عبر corpus السامرائي كله. وهي أقرب إلى قاموس تشغيلي طويل الفقرات: إذا صادفت ظاهرة في القرآن رجعت إلى مفهومها هنا ثم إلى الكتب المتخصصة.

التعريف والتنكير بوصفهما إدارة لدرجة التعيين

في المدرسة السامرائية لا ينبغي النظر إلى ألـ والتنكير كعلامتين مدرستين؛ هما طريقة لإدارة ما يعرفه المتلقي عن المرجع. المعرفة قد تستدعي معلومًا سابقًا أو جنسًا أو معينًا، والنكرة قد تفتح النوع أو تفيد فردًا غير معين أو تحمل تعظيمًا أو تقليلًا بحسب السياق. لذلك حين يختلف موضعان في التعريف والتنكير يجب أولًا تحديد «حالة المرجع» في ذهن المخاطب: هل سبق ذكره؟ هل المقصود فرد أم جنس؟ هل يراد إطلاق الصفة دون تقييد؟ هذه الأسئلة تجعل الظاهرة قريبة من information status في اللسانيات الحديثة. الخطأ الشائع هو إعطاء التنكير معنى واحدا دائما مثل التعظيم؛ الصواب أن التعظيم فرضية من عدة فرضيات تختبر بالمقام.

التقديم والتأخير بوصفهما هندسة للبؤرة

الرتبة في العربية مرنة بسبب الإعراب، ولذلك يمكن أن تحمل قيمة خطابية. التقديم قد يلفت الانتباه، أو يحقق اختصاصًا، أو يضبط نطاق النفي أو الشرط، أو يناسب سياقا سبق فيه عنصر بعينه. لكن لا يصح أن نقول آليا «التقديم يفيد الحصر» في كل موضع. منهج السامرائي الأفضل يضع التركيب أمام بديله ثم يحث ما الذي يتغير. وفي تحليل معاصر يمكن الاستعانة بمفاهيم topic وfocus: ما المعلومة التي يتحدث عنها الخطاب؟ وما المعلومة الجديدة أو المصححة؟ بهذا يصبح التقديم جزءًا من هندسة توزيع المعلومات.

الذكر والحذف: الاقتصاد مقابل التوسيع

الحذف من أكثر الظواهر حضورًا في كتب السامرائي. المعنى الأساسي أن عدم الذكر قد يكون له أثر إيجابي: تسريع الإيقاع، تجنب التكرار، ترك الفعل مطلقًا على مفاعيل متعددة، أو الاعتماد على علم المخاطب. لكن الحذف لا يثبت لمجرد أن الباحث يستطيع تخيل كلمة؛ يجب وجود دليل على أن البنية تستدعي عنصرا محذوفا. كما ينبغي التفريق بين حذف نحوي مقدر وبين عدم ذكر شيء أصلا مع تمام التركيب. هذه الدقة تمنع الإفراط في «التقديرات» التي يمكن أن تجعل أي معنى ممكنًا.

التوكيد ونظرية حاجة المخاطب

قيمة التوكيد نسبية لحالة الخطاب. زيادة إنّ أو اللام أو القسم أو التكرار لا تجعل الجملة «أبلغ» مطلقًا، بل تصبح أبلغ إذا كان السياق يحتاج تثبيتًا. غياب التوكيد قد يكون الأدق حين لا يوجد إنكار. هذا المبدأ يمكن صياغته كاقتصاد معلوماتي: لا ترسل من القوة التعبيرية أكثر مما يحتاج الموقف إلا لغرض. ومن هنا يمكن تفسير اختلاف درجة التوكيد بين قصص أو خطابات متشابهة بالنظر إلى حال المخاطبين ومسار الحجاج، وهو باب واسع في «مراعاة المقام».

الفعل والاسم والزمن: الحدث والثبوت دون آلية جامدة

كثير من التحليل البياني يقابل الجملة الفعلية بالحركة والتجدد، والاسمية بالثبوت. هذه قاعدة نافعة لكنها ليست قانونًا ميكانيكيًا؛ الاسم قد يقع في سياق مؤقت والفعل قد يدل على عادة متكررة. الذي ينبغي فعله هو اختبار طبيعة المحمول والسياق والزمن والقرائن. الصيغة الفعلية تجلب معها زمنًا وبنية حدث، بينما الاسم يمكن أن يقدم الصفة ككيان أو وصف، ومن هذا الفرق تنشأ آثار بلاغية حقيقية إذا دعمتها القرائن. «معاني النحو» و«معاني الأبنية» يمنحان الأساس لهذه المقارنات.

الضمائر والالتفات وإدارة منظور الخطاب

الانتقال بين ضمير وآخر أو بين الظاهر والمضمر ليس مجرد تنويع. الضمير يعتمد على مرجع حاضر في الذاكرة الخطابية، أما إعادة الاسم الظاهر فقد تعيد تنشيط المرجع أو تضيف وصفًا أو تمنع لبسًا. والالتفات بين التكلم والخطاب والغيبة يغير منظور المشهد ويحدد الانتباه. لكن تفسير الالتفات يجب أن يتجاوز عبارة «للتنشيط» العامة إلى وظيفة الموضع: هل قرب المخاطب؟ هل نقل المشهد؟ هل أبرز صفة؟ هذا النوع من التفصيل هو روح المقام.

الشرط والنفي والاستفهام كمنطق لغوي حي

هذه الأبواب توضح كيف يلتقي النحو بالاستدلال. الشرط يبني علاقة اعتماد بين قضيتين، والنفي يحدد نطاق السلب، والاستفهام يمكن أن يتحول إلى إنكار أو تقرير أو تعجب أو غيره. اختلاف الأداة أو الرتبة أو الاستثناء بعد النفي قد يغير البنية المنطقية للجملة. لذلك يحتاج قارئ القرآن والأصولي

إلى أكثر من معرفة الإعراب؛ يحتاج إلى رسم النطاق: ما الذي دخل تحت النفي؟ ما الذي عُلّق على الشرط؟ ما القضية التي يطلب الاستفهام تثبيتها؟ هذه الأسئلة تجعل «معاني النحو» أداة تفكير لا كتاب لغة فقط.

الفاصلة والصوت: الإيقاع الذي لا يبتلع المعنى

يعطي السامرائي للصوت والفاصلة أهمية، لكنه في أقوى تحليلاته لا يجعل الإيقاع سببًا منفردًا يفرض لفظًا أضعف دلالة. البلاغة العليا هي التوافق بين الصوت والمعنى. يمكن أن يكون للحرف وصيغته أثر في الخفة والثقل، ويمكن أن تسهم الفاصلة في وحدة المقطع، لكن ذلك يجب أن يندمج مع الوظيفة المعجمية والنحوية. هذه النظرة تمنع فصل موسيقى القرآن عن دلالته وتفتح باب phonostylistics عربية يمكن تطويرها بأدوات قياس الإيقاع والتكرار الصوتي.

المتشابه اللفظي: مختبر الفروق لا متحف الأسرار

المتشابه اللفظي يقدم أفضل مادة للمنهج لأنه يشبه تجربة طبيعية: نصان متقاربان جدًا مع تغيرات صغيرة. المطلوب أن يُجمع كل الفرق، ثم تُربط التغيرات بالسياق. لكن الخطر أن يصبح الباحث متوقعًا «سرًا» لكل حرف مهما كان، فيرى ما يريد. الحل هو بروتوكول صارم: corpus كامل للنظائر، فرضيات متعددة، اختبار أمثلة مضادة، ثم درجة ثقة. بهذا يتحول المجال إلى بحث يمكن أن يخطئ ويصيب، وهي علامة العلم لا نقصه.

الوحدة السُّوَرية والمناسبة: من الموضع إلى النظام

المرحلة الأخيرة في مشروع السامرائي هي إدراك أن الآية جزء من سورة، والسورة جزء من ترتيب. موضوع السورة يقيّد تفسير اللفظة، والمفتتح قد يزرع عناصر تعود في الخاتمة، والسورة التالية قد تستأنف خيطًا. لا يعني ذلك أن لكل تجاور رابطًا عميقًا حتميًا، بل أن العلاقة فرضية تستحق الفحص. أقوى الروابط ما كانت متعددة القرائن: موضوعية ولفظية وبنائية معًا. هذه الرؤية تجعل القرآن نظامًا متعدد المقاييس وتجمع كل ما سبق من كلمة وصيغة وجملة ومقام في معمار واحد.

القسم الرابع: التركيب النهائي والتقويم وخطة الدراسة

13. النموذج الموحد: اثنا عشر قانونًا يمكن استخلاصها من **corpus** السامرائي

يمكن ضغط مئات التحليلات في اثني عشر قانونًا إجرائيًا مع التأكيد أن هذه الصياغة تركيب تحليلي لهذه الورقة وليست قائمة وضعها السامرائي بهذا الاسم. القانون الأول: **قانون البدائل**؛ لا معنى دقيقًا للاختيار حتى نعرف البديل الممكن. القانون الثاني: **قانون الفارق المحدود**؛ عند مقارنة نصين متشابهين ابدأ بأصغر نقطة تغير قبل بناء تفسير شامل. القانون الثالث: **قانون تراكب المستويات**؛ الفرق قد يكون صرفيا ونحويا وصوتيا وسياقيا في الوقت نفسه. القانون الرابع: **قانون المقام**؛ لا تفسر الظاهرة قبل تحديد موضوع السياق وحال الخطاب وما سبق من معلومات. القانون الخامس: **قانون الاقتصاد**؛ الحذف وعدم التوكيد قد يكونان أبلغ من الزيادة متى قام الدليل. القانون السادس: **قانون الاتساع**؛ الاحتمال ليس عيبا دائما، فقد يحمل التركيب معاني متوافقة في صيغة واحدة.

القانون السابع: **قانون عدم الترادف الآلي**؛ تقارب المعنى لا يساوي قابلية الاستبدال التام، ويجب استقراء الفروق. القانون الثامن: **قانون الرتبة**؛ تغيير ترتيب العناصر قد يغير البؤرة أو الاختصاص أو نطاق النفي والتوكيد. القانون التاسع: **قانون الصيغة**؛ هيئة الكلمة جزء من المعنى، فلا يستوي المصدر مع مصدر آخر ولا الوصف مع الفعل في كل مقام. القانون العاشر: **قانون الوحدة النصية**؛ التفسير المحلي يراجع على ضوء المقطع والسورة. القانون الحادي عشر: **قانون النظائر**؛ أقوى التعليلات ما يفسر مجموعة مواضع متشابهة لا مثالا واحدا. القانون الثاني عشر: **قانون قابلية المعارضة**؛ التعليل البياني ليس قويا لأنه جميل، بل لأنه يتفوق على بدائل تفسيرية بعد فحص corpus والسياق. هذا القانون الأخير إضافة نقدية ضرورية حتى تظل المدرسة البيانية بحثا لا حدسا محصنا.

إذا صيغ المشروع بهذه الطريقة صار قابلا للاستفادة في تخصصات متعددة. في أصول الفقه يمكن تطبيق قوانين البدائل والمقام ونطاق النفي والاستثناء على دلالات الألفاظ. في التفسير تستخدم الوحدة النصية والنظائر. في اللسانيات يمكن تحويل بعض الفروق إلى corpus studies: هل يستعمل بناء معين غالبا في سياق دلالي مخصوص؟ وفي تعليم العربية يمكن إعادة بناء المنهج الدراسي من سؤال المعنى: بدلا من حفظ أن «الحال منصوب»، يتعلم الطالب ما الذي تضيفه الحال إلى تصوير الحدث، ومتى يستغنى عنها، وما الفرق بين الحال والجملة الوصفية. هذه القدرة على العبور بين الحقول هي السبب في أن «معاني النحو» وكتب البيان لا ينبغي أن تقرأ منفصلة.

14. خوارزمية عمل عملية لتحليل أي فرق قرآني على طريقة السامرائي

يمكن تحويل المنهج إلى بروتوكول يجتاز من ثماني حركات مترابطة. تبدأ بتثبيت النص وضبط القراءة والسياق، ثم تحديد الظاهرة: لفظ، صيغة، ترتيب، حذف، توكيد، فاصلة، ضمير، أو اختلاف بين موضعين. بعدها تبني مجموعة البدائل: ما التعابير العربية الصحيحة التي كان يمكن نظريا أن تؤدي أصل المعنى؟ ثم تجمع النظائر القرآنية والاستعمالات العربية ذات الصلة، لأن الفرق الذي لا يظهر إلا في مثال واحد قد يكون وهما تفسيريا. في الحركة الرابعة يحلل المستوى الصرفي، وفي الخامسة النحوي، وفي السادسة المقام والسياق النصي، وفي السابعة يختبر التعليل على المواضع الأخرى، وفي الثامنة تقارن فرضيات متعددة ويختار الأقل تكلفا والأكثر تفسيرا للبيانات.

مثلا، إذا وجدت ذكر المفعول في موضع وحذفه في موضع آخر، فلا يكفي أن تقول «الحذف للإيجاز». يجب أن تسأل: هل الحذف يوسع دائرة الفعل فيصدق على أشياء متعددة؟ هل المفعول معلوم من السياق؟ هل ذكره في الموضع الآخر ضروري للمقابلة أو لرفع اللبس؟ هل إيقاع الفاصلة مؤثر؟ وهل نجد نمطا مشابها في مواضع أخرى؟ وإذا كان الفرق في التوكيد، فالسؤال ليس «لماذا أكد؟» فقط، بل هل المخاطب منكر، أو المعنى بعيد، أو في السياق ما يستدعي تثبيته؟ وإذا كان الفرق في الفعل والاسم، يختبر الحدوث والتجدد في مقابل الثبوت، لكن من غير تحويل هذه القاعدة إلى مفتاح آلي؛ فقد تتدخل عوامل أخرى. هذه الروح هي الأهم: لا توجد «قاموس أسرار» يفسر كل موضع بكلمة واحدة، بل شبكة قرائن.

ويمكن تطوير هذا البروتوكول اليوم بأدوات corpus linguistics والحوسبة: استخراج جميع مواضع صيغة بعينها، قياس ترافقاتها، مقارنة السياقات، وبناء قواعد بيانات للفروق المتشابهة. مثل هذا العمل يمكن أن يختبر كثيرا من حدوس المدرسة البيانية على نطاق أوسع، ويكشف أين يكون الفرق قويا إحصائيا وأين يحتاج إلى تقييد. وبذلك يصبح مشروع السامرائي قابلا للامتداد من القراءة البشرية الدقيقة إلى بحث رقمي لا يفقد الحس اللغوي، وهو اتجاه واعد للباحثين في القرآن واللسانيات العربية.

15. ما الذي يضيفه كل كتاب ولا يقوم غيره مقامه؟

يمكن الآن تحديد الوظائف من غير تكرار: «معاني النحو» هو الموسوعة المركزية للعلاقة بين الأبواب النحوية والمعنى؛ «الجملة العربية: تأليفها وأقسامها» يضبط معمار الجملة ومكوناتها؛ «الجملة العربية والمعنى» يركز على القطع والاحتمال والظاهر والباطن وأمن اللبس واتساع الدلالة؛ «معاني الأبنية» يجعل الصرف طبقة تفسير مستقلة؛ «تحقيقات نحوية» يختبر المرويات والأحكام الخلافية؛ دراسات ابن جني والأنباري والزمخشري تمنح المشروع عمقه التاريخي ومصادره. «التعبير القرآني» هو الجسر الجامع إلى البيان؛ «بلاغة الكلمة» ميكروسكوب الاختيار المعجمي والصرفي؛ «مراعاة المقام» نظرية السياق؛ «لمسات بيانية» مختبر المقارنة التطبيقية؛ «أسئلة بيانية» صيغة تربوية لتوليد المشكلات؛ «من أسرار البيان» يجمع مستويات متعددة؛ «قبسات» يوسع التفسير الموضوعي والسياقي؛ «شذرات» يطبق المنهج على شبكة مفهومية مخصوصة؛ «التناسب» ينقل النظر إلى معمار السور؛ «على طريق التفسير

البياني» يختبر المنهج في تفسير ممتد، «إضاءات سورة إبراهيم» دراسة سورية مركزة، أما «نداء الروح» و«نبوة محمد» فيكشفان الخلفية العقدية والغاية الإيمانية.

ولهذا، من يريد أقل عدد من الكتب مع أعلى تغطية لا يحتاج إلى شراء corpus كله فورًا. خمسة عناوين يمكن أن تمثل الأعمدة: «معاني النحو» لبنية اللغة، «معاني الأبنية» للصرف، «التعبير القرآني» للمنهج المقارن، «مراعاة المقام» للسياق، و«على طريق التفسير البياني» للتطبيق الممتد. ثم يضاف «بلاغة الكلمة» لمن يريد الدقة المعجمية، و«التناسب» لمن يريد البنية الكبرى، و«تحقيقات نحوية» لمن يريد الجانب النقدي. أما من يقتني corpus كله فالقيمة ليست في كثرة الأمثلة، بل في رؤية كيف يعاد تشغيل المبادئ نفسها على مقاييس مختلفة؛ وهنا ينبغي القراءة الشبكية لا الخطية، أي الانتقال بين الكتب بحسب المسألة.

16. تقويم نقدي: أين تبلغ مدرسة السامرائي ذروة قوتها وأين ينبغي الاحتراز؟

أقوى ما في المشروع أولًا أنه يعيد «المعنى» إلى النحو، فيكسر الانطباع المدرسي بأن العربية شبكة علامات بلا غاية. وثانيًا أنه يُكسب القارئ مهارة المقارنة، وهذه مهارة بحثية لا تنتهي بانتهاء الأمثلة. وثالثًا أنه يجمع الصرف والنحو والمعجم والبلاغة والسياق بدل أن يعاملها جزرا منفصلة. ورابعا أنه يعيد الاعتبار للوحدة النصية، فلا يكتفي بالكلمة المنعزلة. وخامسا أن لغته في أكثر من الكتب تسمح لغير المتخصص بالاقتراب من مسائل دقيقة من غير إسقاط أصلها العلمي. لهذه الأسباب وصفت دراسات «معاني النحو» بأنه عمل مميز في ربط النحو بالدلالة، ووصفت دراسات «على طريق التفسير البياني» أثر تخصصه النحوي في كشف التراكيب والفروق.

لكن هناك ثلاثة احترازات منهجية. الأول هو خطر **التعليل بعد وقوع النص**: حين نعرف الصياغة القرآنية يمكن للعقل أن يبتكر لها تعليلًا جميلًا، ولذلك يجب أن نختبر هل التعليل كان سيتنبأ فعلًا بالاختيار في مواضع أخرى. الثاني خطر **إفراط الفروق**: ليس كل تقارب بين لفظتين يقتضي فرقًا ثابتًا مطردًا، فاللغات تحتوي على مناطق ترادف وتقاطع، وقد تتغير القيود بحسب السياق. الثالث خطر **الانتقائية**: اختيار الشواهد المؤيدة وترك المضادة يخلق وهم القانون. العلاج في الثلاثة واحد: corpus أوسع، وتصريح بالبدائل، وتقييم التعليل على جميع النظائر، وقبول أن بعض المواضع قد يبقى متعدد الاحتمال.

ويضاف إلى ذلك أن التفسير البياني لا يغني عن بقية علوم التفسير. فالقراءة اللغوية قد تحدد معنى تركيب لكنها لا تحل وحدها سؤال سبب النزول أو صحة الحديث أو الخلاف الفقهي أو القراءات. كما أن الانتقال من دقة البيان إلى الاستدلال العقدي يحتاج مقدمات إضافية، لا يصح أن يختصر البرهان على النبوة في «وجدنا فرقًا بلاغيا دقيقًا». الأقوى أن تبنى الحجة تراكميا: الاتساق البياني واحد من وجوه كثيرة. بهذه الضوابط لا ينتقص المشروع، بل يحفظ من أن يتحول من مدرسة تحليل إلى خطاب إعجاب غير قابل للنقد.

17. مسار دراسة مضغوط يحفظ القيمة العلمية

لمن يريد تحصيل المشروع لا مجرد اقتناء الكتب، يبدأ المسار بـ«الجملة العربية: تأليفها وأقسامها» لأنه يمنح هيكل الجملة، ثم ينتقل إلى «الجملة العربية والمعنى» ليتعلم علاقة التركيب بالاحتمال والدلالة. بعد ذلك يقرأ مختارات منتظمة من «معاني النحو» على مهل، ولا يلزم أن يقرأ الأجزاء الأربعة دفعة واحدة؛ الأفضل اختيار أبواب مرتبطة بما يقرأه في القرآن: النكرة والمعرفة، التقديم، الحذف، الشرط، النفي، الاستفهام، المشتقات. بالتوازي يقرأ «معاني الأبنية» كي لا يبقى التحليل نحويا فقط. عند اكتمال هذه الآلة يأتي «التعبير القرآني»، ثم «بلاغة الكلمة» و«مراعاة المقام». وبعد ذلك يصبح «لمسات بيانية» و«أسئلة بيانية» تدريبا، لا مجرد تلقي.

في المرحلة الأعلى يقرأ «على طريق التفسير البياني» ببطء مع تفسيرين أو ثلاثة مختلفي الاتجاه، ويُطلب من القارئ أن يسجل في الهامش ثلاثة أعمدة: الدعوى البيانية، القرينة، والبديل الممكن. ثم يراجع «التناسب بين السور» لاكتساب مستوى البنية الكبرى. أما كتب «تحقيقات نحوية» ودراسات الأعلام فتقرأ حين يريد الطالب الانتقال من الاستفادة إلى البحث، لأنها تعلمه ألا يكتفي بالنتيجة بل يرجع إلى تاريخ المسألة. بهذه الطريقة تتحول مكتبة السامرائي إلى برنامج تكوين: من البنية، إلى الدلالة، إلى المقام، إلى المقارنة، إلى تفسير السورة، ثم إلى نقد المنهج نفسه.

18. خاتمة: ما الذي يبقى في الذهن بعد ضغط عشرات الكتب؟

إذا أريد تلخيص مشروع السامرائي في جملة واحدة فهي: **المعنى العربي نتيجة اختيار من بدائل، والاختيار لا يُفهم إلا داخل المقام**. ومن هذه الجملة تتفرع كتبه جميعا تقريبا. الصيغة الصرفية بديل، الرتبة بديل، الذكر والحذف بديلان، نوع الجملة بديل، مستوى التوكيد بديل، اللفظة المتقاربة بديل، الفاصلة بديل، ترتيب السورة بديل. وظيفة الباحث ليست أن يعجب بالاختيار بعد وقوعه فقط، بل أن يبني مساحة البدائل ثم يثبت لماذا يضيق المقام عليها حتى يصبح المختار أليق. هذا هو العمق الذي يجعل مشروعه مفيدا لطالب النحو والتفسير وأصول الفقه والبلاغة معا.

والحفظ الحقيقي لعلوم هذه الكتب لا يكون بمحاولة ضغط كل مثال، بل بحفظ «آلة توليد العلم» التي أنتجت الأمثلة: الحساسية للفروق، التزام السياق، استقراء النظائر، تعدد مستويات التحليل، والقدرة على مراجعة التعليل. من إمتلك هذه الآلة يستطيع أن يعود إلى أي كتاب من كتبه فيستخرج فائدته بسرعة، بل يستطيع أن يطبق المنهج على مواضع لم يناقشها المؤلف. لهذا صممت هذه الورقة بوصفها خريطة تشغيلية لا ملخصا مدرسيا؛ إنها تريد أن تترك في يد القارئ نموذجا يستطيع به إعادة بناء كثير من corpus السامرائي، وأن تبقي باب النقد مفتوحا لأن أقوى تكريم لمشروع لغوي كبير هو أن يستعمل ويختبر ويطور، لا أن يحول إلى مجموعة أجوبة محفوظة.

ملحق: فهرس استرجاع سريع لكل كتاب

هذا الملحق لا يعيد تلخيص الفصول السابقة، وظيفته أن يضمن ظهور كل عنوان صراحة داخل الورقة وأن يعطي مفتاحًا واحدًا لاسترجاع مكانه في المشروع. الأعمال الإضافية في آخر القائمة مذكورة بوصفها عناوين متداولة في فهارس ودراسات، وقد يختلف وضعها الطباعي عن قائمة الناشر الحالية.

إضاءات بيانية في تفسير سورة إبراهيم — تفسير بياني مركز لسورة واحدة يدمج اختيار اللفظ والتركيب بوحدة السورة.
ابن جني النحوي — دراسة تأسيسية في تراث ابن جني تكشف أحد منابع الحس الصرفي والنحوي والدلالي.
أبو البركات ابن الأنباري ودراساته النحوية — دراسة تاريخية نقدية في صناعة النحو والخلاف ومناهج التقعيد.
أسئلة بيانية في القرآن الكريم 1-2 — صيغة سؤال وجواب مرتبة على مسار المصحف لتدريب العين على الفروق التعبيرية.
على طريق التفسير البياني 1-4 — التطبيق الأطول للمنهج على سور كاملة مع مقدمات في أصول التفسير البياني.
بلاغة الكلمة في التعبير القرآني — تحليل دقة المفردة والصيغة وعدم قابلية البدائل المتقاربة للاستبدال المطلق.
التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم — دراسة مناسبات على مستوى افتتاح السورة وخاتمتها والربط بين السور.
تحقيقات نحوية — مراجعة مسائل ونسب نحوية خلافية واختبار دقة الأحكام الموروثة والحديثة.
التعبير القرآني — المحور الجامع للمقارنة بين الآيات والاختيارات اللغوية والبلاغية.
شذرات من القضاء والجزاء في التعبير القرآني — تحليل بياني موضوعي لمفهومي القضاء والجزاء مع تطبيقات من سورة فاطر.
قبسات من البيان القرآني — دراسات بيانية لآيات وسور مختارة مع ربطها بالبناء العام للسورة.
الجملة العربية: تأليفها وأقسامها — معمار الجملة: الإسناد، العناصر، الذكر والحذف، وأقسام الجمل.
الجملة العربية والمعنى — الدلالة القطعية والاحتمالية، الظاهر والفحوى، أمن اللبس، والاتساع الدلالي.
من أسرار البيان القرآني — دمج الأبنية والمفردات والتوكيد والحذف والفواصل مع تطبيقات تفسيرية.
الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري — دراسة مصدر رئيسي يلتقي فيه النحو بالتفسير والبلاغة.

لمسات بيانية في نصوص من التنزيل — مختبر للمقارنات بين القصص والآيات المتشابهة والفروق السياقية.
مراعاة المقام في التعبير القرآني — صياغة ناضجة لدور السياق في التقديم والحذف والتوكيد والالتفات والفاصلة.
معاني الأبنية في العربية — الدلالة الصرفية للأوزان والصيغ بالاستقراء والموازنة.
معاني النحو 1-4 — الموسوعة المركزية التي تعيد تفسير أبواب النحو بوظائفها الدلالية.
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الشك إلى اليقين — مسار حجاجي عقدي حول النبوة يكشف الغاية الإيمانية وراء جانب من المشروع.
نداء الروح في الإيمان بالله واليوم الآخر — كتاب إيماني مبكر يبرز الخلفية العقدية والوجدانية للمؤلف.
دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل — عمل متداول في الفهارس يضع الفروق بين الآيات المتشابهة في صلب التحليل.
أثر الخلافات النحوية — عمل موجز متداول في بعض الفهارس يبرز أثر الخلاف والتحليل النحوي في فهم الظواهر.

المراجع والمصادر المستخدمة في بناء الخريطة

[1] دار ابن كثير، صفحة مؤلفات د. فاضل صالح السامرائي، قائمة 21 عنوانًا، آخر وصول: سبتمبر 2026.
[2] دار ابن كثير، صفحات الكتب المفردة: التعبير القرآني؛ مراعاة المقام؛ معاني الأبنية؛ الجملة العربية؛ الجملة العربية والمعنى؛ تحقيقات نحوية؛ قبسات؛ شذرات؛ التناسب؛ من أسرار البيان؛ إضاءات سورة إبراهيم.
[3] جامع الكتب الإسلامية / المكتبة الشاملة، «معاني النحو»، فهرس الأبواب والطبعة وعدد الأجزاء.
[4] المكتبة الوقفية، «لمسات بيانية في نصوص من التنزيل»، فهرس الكتاب والبيانات الببليوغرافية.
[5] المكتبة الوقفية، «على طريق التفسير البياني»، فهرس الجزء الأول وبيانات النشر.
[6] مركز تفسير للدراسات القرآنية، نهى الكعبي، «كتاب على طريق التفسير البياني للدكتور فاضل السامرائي: عرض وتقويم».
[7] مجلة كلية اللغة العربية، ازدهار عبد الرحمن السيد، «النحو والدلالة في كتاب معاني النحو لفاضل السامرائي: دراسة وصفية»، 2017.
[8] مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، أمير عداوي عوان، «التحقيق النحوي عند الدكتور فاضل السامرائي في كتابه معاني النحو»، 2016/2017.
[9] مجلة ديالى للبحوث الانسانية، «الدلالة النحوية واللغوية في كتاب مراعاة المقام في التعبير القرآني»، DOI: 10.57592/djhr.v1i76.879.
[10] مجلة ديالى للبحوث الانسانية، «مصادر الأستاذ الدكتور فاضل السامرائي التفسيرية في كتابه معاني النحو وأثرها في بناء منهجه التفسيري».
[11] مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، «الموجهات الصوتية للدلالة النحوية عند الدكتور فاضل السامرائي».
[12] مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، هيام جعفر كاظم، «منهجية الدكتور فاضل صالح السامرائي في التفسير البياني»، 2021.
[13] مكتبة القرآن على الإنترنت، «قبسات من البيان القرآني»، فهرس الموضوعات.
[14] فهارس المكتبة الوطنية العراقية ومصادر ببليوغرافية عربية لمؤلفات فاضل صالح السامرائي، للاستئناس بالأعمال المبكرة والعناوين غير المدرجة في قائمة الناشر الحالية.

ملاحظة أخيرة للقراءة

أفضل طريقة لاستعمال هذه الورقة هي أن تُقرأ مرة كاملة لاستخراج النموذج الكلي، ثم تُستخدم كفهرس تحليلي أثناء قراءة الكتب الأصلية. عند كل مسألة، اكتب في هامشك: البديل، الفارق، المقام، النظائر، والنتيجة. إذا لم تستطع ملء هذه الخانات فلا تتعجل في إعلان «سر بياني». بهذه العادة يتحول مشروع السامرائي من مادة إعجاب إلى تدريب بحثي دائم.